

مؤمن آل فرعون

في القرآن الكريم

تأليف

د. علي محمد محمد الصلابي





236

978-625-6752-77-1

مؤمن آل فرعون في القرآن الكريم
د. علي محمد محمد الصلابي

رجب صونگول

AsaletAjans

ajans@asaletyayinlari.com.tr

دار الأصاله للنشر والتوزيع وخدمات الترجمة والطباعة

Asalet Eğitim Danışmanlık

Yayın Hizmetleri İç ve Dış Ticaret

Sertifika No: 40687

Balabanağa Mh. Büyük Reşit Paşa Cd.

Yümnü İş Merkezi, No: 16B/16 Vezneciler
Fatih, İSTANBUL-TÜRKİYE

Tel: +90 212 511 85 47

www.asaletyayinlari.com.tr

asalet@asaletyayinlari.com.tr

رقم الإصدار
التقييم الدولي

اسم الكتاب
اسم المؤلف

رئيس التحرير
الاخراج الفني

دار النشر



كما أن إصداراتنا متاحة على منصتي



Google Play
Books

amazonkindle

Copyright ©2024

دار الأصاله للنشر والتوزيع وخدمات الترجمة والطباعة - إسطنبول - © تركيا 2024
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

مؤمن آل فرعون في القرآن الكريم

تأليف
د. علي محمد محمد الصلابي





الإهداء



إلى الراغبين والمتعطشين لمعرفة سيرة "مؤمن آل فرعون".

إلى الباحثين عن الحقيقة.

إلى العقول النيرة وأصحاب الفطرة السليمة والأفئدة

الصالفة من بني الإنسان.

أهدي هذا الكتاب؛ سائلاً المولى عزَّجَلَّ بأسمائه الحسنی

وصفاته العُلا أن يكون خالصاً لوجهه الكريم.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا

يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].





مقدمة الكتاب

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُ بِهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ فَتَقَدَّرَ فَازٌ قَوْرًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ،
وَلَكَ الْحَمْدُ حَتَّى تَرْضَى، وَلَكَ الْحَمْدُ إِذَا رَضِيتَ، وَلَكَ الْحَمْدُ
بَعْدَ الرِّضَا.

أما بعد:

أخذت قصة كليم الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ النصيبَ الأكبر من الذكر في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وذكرت في سور كثيرة، وكانت كل سورة تعرّضها بشكل مختلف عن الآخر، ولغايات مختلفة عن غيرها، وقد تميّزت قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة غافر بذكر قصة رجل (مؤمن آل فرعون) الذي دافع عن رسول الله ونبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من بطش فرعون وملئه، وقام خطيباً لقومه، محاوراً لهم بحججه العقلية والمنطقية، بعدما كان يكتنم إيمانه خوفاً على نفسه من الهلاك.

وقف مؤمن آل فرعون موقفاً شجاعاً أظهر فيه قوة إيمانه بالأصل لفرعون وآله وعصبته، وأبدى حرصه، وخوفه على مصالح قومه من عواقب تحدي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومجاوبته بقوة الدولة المستبدة، والسلطان الفرعوني، وفي الوقت ذاته أبدى اعترافاً بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونبوته بعدما كان يكتنم ذلك حرصاً على نجاح مهمته في الدعوة إلى الله.

بدأ التمهيد في سورة غافر لذكر مؤمن آل فرعون عند ذكر الله سبحانه قصة الإيمان والطغيان ممثلة في دعوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لفرعون الطاغية الجبار، وفرعون يريد أن يقضي على موسى وأتباعه خشية أن ينتشر الإيمان بين الأقاليم، فتبرز في ثنايا هذه القصة حلقة جديدة لم تعرض في قصة موسى في غيرها من السور (كما ذكرنا) ألا وهي ظهور رجل مؤمن من آل فرعون - يخفي إيمانه - يصدع

بكلمة الحق في لطف وحذر، ثم في صراحة ووضوح، وقد ذكر الله سبحانه مشاهد من محاججته لقومه مليئة بالبراهين العقلية والحجج المنطقية، ثم تنتهي القصة بعلاقة فرعون الطاغية الجبار بالغرق في البحر مع أعوانه وأنصاره، ونجاة الداعية المؤمن وسائر المؤمنين.

١- التعريف بالكتيب وأصله:

يعدّ هذا الكتيب: "مؤمن آل فرعون" جزءاً من كتاب "موسى كليم الله عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ عدو المستكبرين وقائد المستضعفين"، والذي يعتبر من موسوعة "نشأة الحضارة الإنسانية وقادتها العظام"، والذي أعان الله عَزَّجَلَّ على إتمامها، إذ عشت معها سنين عدّة باحثاً، ومتعلماً، ودارساً في هذه المدرسة الربّانية العظيمة، أيّ مدرسة القصص القرآني وسير الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم.

أتمت - بفضل الله - الموسوعة بكتاب: موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي كالتالي:

١. قصة بدء الخلق وخلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.
٢. نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ والطوفان العظيم، ميلاد الحضارة الإنسانيّة الثانية.
٣. إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ "خليل الله"، وداعية التوحيد ودين الإسلام، والأسوة الحسنة".

٤. موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كليم الله، عدو المستكبرين، وقائد المستضعفين.

٥. عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ "الحقيقة الكاملة".

٦. السيرة النبوية: عرض حقائق وتحليل أحداث.

وفي ما يخص كتاب "موسى كليم الله عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ عدو المستكبرين وقائد المستضعفين"، قسّمته إلى ستّة فصول، وقد بحثت في الفصل الأول جذور بني إسرائيل التاريخية وحياتهم في مصر.

وفي الفصل الثاني: موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: اسمه ونسبه ومولده ومكانته بين الأنبياء والمرسلين، وعن السّور التي ذُكر فيها موسى وهارون في القرآن الكريم والتي ذُكر فيها اسم فرعون والتي ذُكر فيها بنو إسرائيل واليهود.

وفي الفصل الثالث: قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة القصص وطه والشعراء والنمل ويونس وهود وغافر والزخرف والدخان والنازعات. وفي الفصل السادس من هذا الفصل تحدثت عن قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في غافر والزخرف والدخان والنازعات، ففي سورة غافر كان الحديث عن مؤمن آل فرعون في دفاعه عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأساليبه العقلية والعاطفية والدعوية في دعوة قومه للتوحيد والإيمان بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقمتُ بمقارنة بين مؤمن آل فرعون وأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الدفاع عن دعوة التوحيد ودعوة الناس

إليها، وكيف استخدم مؤمن آل فرعون أساليب الدعوة، وانتقل في مراحلها من السرية إلى المجاهرة، ووظف سنن الله في خطابه للعقول والقلوب، وما هو مصيره ومصير آل فرعون في النهاية كما جاء في سورة غافر.

وفي الفصل الرابع كانت قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة الأعراف وإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وفي الفصل السادس: أسباب هلاك فرعون وقومه، وفضائل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ووفاته.

٢- تعريف عام بسورة غافر

لأننا نتحدث عن مؤمن آل فرعون في سورة غافر، فنذكر تعريفاً مختصراً عن السورة:

تسمى هذه السورة سورة غافر؛ لافتتاحها بتنزيل القرآن من الله غافر الذنب وقابل التوب، والغافر من صفات الله وأسمائه الحسنی، وتسمى أيضاً سورة "المؤمن" لاشتمالها على قصة مؤمن آل فرعون^(١).

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة مصطفى الزحيلي، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، (٢٤/٦٨).

وسورة غافر والحواميم السبع مكية، فهي تعنى بأصول العقيدة كسائر السور المكية، لذا جاءت آياتها لإثبات العرش، وتصوير الصراع بين أهل الحق وبين أهل الباطل، أو فريق الهدى وفريق الضلال، وقد ابتدأت بإعلان تنزيل الكتاب الكريم من الله المتصف بالصفات الحسنى، وهاجمت الكفار الذين يجادلون بالباطل، ثم وصفت مهام ملائكة العرش، وأخبرت عن طلب أهل النار الخروج منها لشدة العذاب، ورفض هذا الطلب، وأقامت الأدلة على وجود الله القادر، وخوِّفت من أهوال القيامة، وأنذرت الكفار من شدائد ذلك اليوم.

ثم لفتت الأنظار لموضع العبرة من إهلاك الأمم العابرة، وهو كفرهم بالآيات البيّنات التي جاؤوا بها، وخصّت بالذكر قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع فرعون وهامان وقارون، وما دار من حوار بين فرعون وقومه وبين رجل من آل فرعون يكتُم إيمانه، وما فعله فرعون الطاغية من قتل أبناء بني إسرائيل، واستحياء نساءهم؛ خشية انتشار الإيمان في قومه، وانتهاء القصة بهلاك فرعون بالغرق في البحر مع جنوده، ونجاة موسى وقومه، جند الإيمان في ذلك العصر، وتلك قضية الإيمان والطغيان.

وقد أردف ذلك بإعلان خذلان الكافرين، ونصر الرسل والمؤمنين نصراً مؤزراً في الدنيا والآخرة، وختمت القصة بأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصبر على أذى قومه؛ كما صبر موسى

وغيره من أولي العزم، ثم أوردت السورة الأدلة الكونية على وحدانية الله وقدرته، وضربت المثل للمؤمن بالبصير، وللكافر بالأعمى؛ فالمؤمن نير القلب والبصيرة بنور الله، والكافر مظلم النفس، يعيش في ظلمة الكفر، وأتبع ذلك ببيان نعم الله على عباده من الأنعام والفلك وغيرها.

وختمت السورة بما يؤكد الغرض المهم منها: وهو الاعتبار بمصرع الظالمين المكذابين، وما يلقونه من أصناف العذاب، ومبادرتهم إلى الإيمان حين رؤية العذاب، ولكن لا ينفعهم ذلك، فإن سنة الله الثابتة ألا يقبل إيمان اليأس، أو حال رؤية اليأس^(١).

وبعد:

تناولت الحديث في هذا الكتيب عن مؤمن آل فرعون في دفاعه عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأساليبه العقلية والعاطفية والدعوية في دعوة قومه للتوحيد والإيمان بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقمتُ بمقارنة بين مؤمن آل فرعون وأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الدفاع عن دعوة التوحيد، ودعوة الناس إليها، وكيف استخدم مؤمن آل فرعون أساليب الدعوة، وانتقل في مراحلها من السرية إلى المجاهرة، ووظف سنن الله في خطابه للعقول والقلوب، وما هو مصيره ومصير آل فرعون في النهاية كما جاء في سورة غافر.

(١) تفسير المنير، (٧٠/٢٤).

إنني أحمد الله الكريم المنان أن وفقني للاهتمام بهذا المجال المعرفي الزاخر، والتوسع في سير هداة البشرية، وأن أنهل من المصادر والدراسات النافعة، وأحمدُه وأشكره على نِعَمه التي لا تُعدُّ ولا تُحصى، وأسأله أن يمدني بتوفيقه وتسديده وتأييده في الكتابة المنهجية النافعة لبقية قصص الأنبياء والمرسلين من كتابه العزيز، وأن يلقى ما أكتبه القبول بين الناس، ويجعله سبباً في هداية الكثير من خلفه، وأن تُسهم هذه الكتابات في نشر توحيد الله عَزَّجَلَّ، وإفراده بالعبادة، وتقديم نماذج رفيعة للمرجعية العقديَّة والروحيَّة والأخلاقيَّة والسلوكيَّة والفكريَّة.

وإن الفضل لله عَزَّجَلَّ من قبل ومن بعد، فأسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يتقبل هذا العمل قبولاً حسناً، وأن يكرمنا برفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولا يسعني في مرحلة الانتهاء من هذا الكتاب إلا أن أقف بين يدي الله عَزَّجَلَّ بقلبٍ خاشعٍ منيب، معترفاً بفضله وكرمه، ومتبرئاً من حولي وقوتي، ملتجئاً إليه في كل حركاتي وسكناتي، وحياتي ومماتي، فالله خالقي هو المتفضل. وربِّي الكريم هو المعين وإلهي العظيم هو الموفق، فلو تخلى عني ووكلني إلى عقلي ونفسي لتبذني العقل، وغابت الذاكرة ويست الأصابع، وجفت العواطف، وتحجرت المشاعر، وعجز القلم عن البيان.

اللهم اجعله لوجهك خالصاً، ولعبادك نافعاً، واطرح فيه البركة
والقبول والنفع العظيم.

كما أرجو من كل من يطلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير
إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من الدعاء، قال تعالى:

﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۗ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾
[الأحقاف: ١٥].

والحمد لله رب العالمين.





المبحث الأول





المبحث الأول:

الآيات الممهدة لذكر قصة مؤمن آل فرعون



قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۗ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنَ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [غافر: ٢٣، ٢٧].

لَمَّا سَلَّى اللهُ تَعَالَى رَسُوْلَهُ بِذِكْرِ عَاقِبَةِ الْكُفَّارِ الَّذِيْنَ كَذَبُوا بِالْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، وَبِمَشَاهِدَةِ آثَارِهِمْ؛ سَلَّاهُ أَيْضًا بِذِكْرِ قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى أَنَّهُ -مَعَ قُوَّةِ مَعْجَزَاتِهِ- كَذَّبَهُ فِرْعَوْنُ وَهَامَانُ وَقَارُونَ، وَقَالُوا عَنْهُ: هُوَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، وَلَكِنْ فِي النِّهَايَةِ تَنْتَصِرُ عَلَيْهِمْ، وَتَلِكْ بَشَارَةٌ لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ الْعَاقِبَةَ وَالنَّصْرَةَ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا جَرَى لِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١).

١- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾﴾

[غافر: ٢٣].

(١) تفسير المنير، (١٠٤/٢٤).

يقول الله تعالى مسلماً لنيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تكذيب من كذبه من قومه، ومبشراً له بأن العقابة والنصرة له في الدنيا والآخرة، كما جرى لموسى بن عمران، فإن الله تعالى أرسله بالآيات البيّنات والدلائل الواضحات، ولهذا قال: ﴿يَا أَيُّهَا سُلَاطِنِ مُؤْمِنِينَ﴾، والسلطان هو الحجة والبرهان^(١).

٢- قوله تعالى: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَلَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَدِجْرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٤].

- ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾: هو ملك القبط بالديار المصرية.

- ﴿وَهَمَلَانَ﴾: وهو وزيره في مملكته.

- ﴿وَقَارُونَ﴾: وكان أكثر الناس في زمانه مالاً وتجارة^(٢)، وكان قارون من بني إسرائيل مع فرعون، وسمع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يقول له: أرسل معنا بني إسرائيل، ولا تعذبهم، وسمعهم وهم يقولون: اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه، وهم من قومه، وهذا دليل الانسلاخ عن قيم الحق والعدل، والتورط في الظلم مع النظام الفرعوني الفاسد عقائدياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً، كما أن فرعون كان يهيمه الولاء المطلق لشخصه، وهذا ما كان من قارون لفرعون.

وقد كان فرعون رأس الفتنة، ومدعي الألوهية، معه هامان لأنه كان وزيره ومساعدته، وقارون لأنه كان صاحب خزانته، فكان

(١) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، (١٢٨/٧).

(٢) المصدر نفسه، (١٢٨/٧).

الثلاثة شركاء، لذلك اشتركوا أيضاً في اتهام موسى: ﴿فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٤]^(١)، وقد كان فرعون يعتمد على قوة هامان الإدارية، وعلى قوة قارون المالية، ولهذا نصّ على إرسال موسى لهؤلاء الثلاثة الذين كانوا يمثلون أعمدة نظام الحكم في مصر، ولما خاطبهم موسى وقدم لهم الآيات؛ اتهموه بالسحر والكذب، واتهموه بأنه ساحر كذاب ولم يكتفوا بتكذيبه واتهامه، بل تواصلوا على إيذاء أتباعه^(٢).

٣- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٢٥].

وهذا قاطع في أن التهديد بقتل الأبناء واستحياء النساء كان خاصاً بالذين آمنوا معه، وأن السلوك الشيطاني الأول الذي كان ذبح أبناء بني إسرائيل واستحياء نسائهم، والذي كان زمن ولادة موسى قد انتهى، وصار خاصاً بالذين آمنوا وليس هذا استنتاجاً، وإنما هي دلالة الكلام^(٣).

(١) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، القاهرة، مكتبة الأسرة، ط١، ١٩٩٢م، (١٣٣٥٣/٢١).

(٢) القصص القرآني؛ عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، دمشق، دار القلم، ط٤، ٢٠١٦م. (٤٨٤/٢).

(٣) من حديث يوسف وموسى في الذكر الحكيم، محمد محمد أبو موسى، القاهرة، مكتبة وهبة، ط١، ١٤٤٢هـ-٢٠٢١م، ص٤٤٧٤.

أ- قال ابن كثير: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ أي: بالبرهان القاطع الدال على أن الله تعالى أرسله إليهم ﴿قَالُوا أَفَتُلَوِّأُ أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾، وهذا أمر ثانٍ من عند فرعون بقتل ذكور بني إسرائيل، أما الأول: فكان لأجل الاحتراز من وجود موسى، أو لإذلال هذا الشعب وتقليل عددهم، أو لمجموع الأمرين، وأما الأمر الثاني: هو إهانة هذا الشعب، وذلك حتى يتشاءموا بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولهذا قالوا: ﴿أَوَذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

قال قتادة: هذا أمر بعد أمر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِيْنَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ﴾ أي: وما مكرهم وقصدهم الذي هو تقليل عدد بني إسرائيل لئلا يُنصروا عليهم إلا ذاهب وهالك في ضلال^(١).

ب- قال محمد متولي الشعراوي في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِيْنَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ﴾ [غافر: ٢٥]، نعم كان هذا كيداً من فرعون وأعوانه، لكن هل أنقذه كيده ببني إسرائيل؟ لا بل ردّ الله كيده عليه، وباء بالضلال والخسران^(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم، (٧/١٢٨-١٢٩).

(٢) تفسير الشعراوي، (٢١/١٣٣٥٣).

٤- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦].

ويبدو من قوله: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ أن رأيه هذا كان يجد ممانعة ومعارضة - من ناحية أخرى - كأن يقال مثلاً: إن قتله لا ينهي الإشكال، فقد يوحي هذا للجماهير بتقليده واعتباره شهيداً، والحماسة الشعورية له وللدين الذي جاء به، وبخاصة بعد إيمان السحرة في مشهد شعبي جامع، وإعلانهم سبب إيمانهم، وهم الذين جيء بهم ليروا عمله ويناوئوه، وقد يكون بعض مستشاري الملك أحس في نفسه رهبة أن ينتقم إله موسى له، ويبطش بهم، وليس هذا بعيداً، فقد كان الوثنيون يعتقدون بتعدد الآلهة، ويتصورون بسهولة أن يكون لموسى إله ينتقم له ممن يعتدون عليه، ويكون قول فرعون: ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ رداً على هذا التلويح، وإن كان لا يبعد أن هذه الكلمة الفاجرة من فرعون كانت تبجحاً واستهتاراً لقي جزاءه في نهاية المطاف، كما سيجيء، ولعله من الطريف أن نقف أمام حجة فرعون في قتل موسى ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾، فهل هناك أطرف من أن يقول فرعون الضال الوثني عن موسى رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾؟

أليست هي بعينها كلمة كل طاغية مفسد عن كل داعية مصلح؟

أليست هي بعينها كلمة الباطل الكالح في وجه الحق الجميل؟

أليست هي بعينها كلمة الخداع الخبث لإثارة الخواطر في وجه الإيمان الهادئ؟ إنه منطوق يتكرر كلما التقى الحق والباطل، والإيمان والكفر، والصلاح والطغيان؛ على توالي الزمان، واختلاف المكان، والقصة قديمة مكررة، تعرض بين الحين والحين^(١).

٥- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧].

فأما موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فالتجأ إلى الركن الركين، والحصن الحصين، ولاذ بالجناب الذي يحمي اللائذين، ويجير المستجيرين، قالها واطمأن، وسلم أمره إلى المستعلي على كل متكبر، القاهر لكل متجبر، القادر على حماية العائذين به من المستكبرين، وأشار إلى وحدانية الله ربه وربهم، لم ينسها، أو يتركها أمام التهديد والوعيد، كما أشار إلى عدم الإيمان بيوم الحساب، فما يتكبر متكبر وهو يؤمن بيوم الحساب، وهو يتصور موقفه يومئذ خاسراً خاشعاً خاضعاً ذليلاً، مجرداً من كل قوة، ما له من حميم ولا شفيع يطاع^(٢).

أ- قال الشنقيطي: ذكر الله - جَلَّ وَعَلَا - في هذه الآية الكريمة أن نبيه موسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - عاذ بربه، أي: اعتصم به، وتمنع من كل متكبر، أي متصف بالكبر لا يؤمن بيوم الحساب؛

(١) في ظلال القرآن، سيد إبراهيم قطب، القاهرة، دار الشروق، ط ٣٢، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، (٥/٣٠٧٨).

(٢) المصدر نفسه، (٥/٣٠٧٨).

أي لا يصدق بالبعث والجزاء، وسبب عياد موسى المذكور بربه أن فرعون قال لقومه: ﴿ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾.

فعياد موسى المذكور بالله إنما هو في الحقيقة من فرعون، وإن كانت العبارة أعم من خصوص فرعون، لأن فرعون لا شك أنه متكبر لا يؤمن بيوم الحساب، فهو داخل في الكلام دخولاً أولاً، وهو المقصود بالكلام، وما ذكره جَلَّ وَعَلَا في آية المؤمن من هذه، من عيادة موسى بالله من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب كفرعون وأعوانه وقومه، ذكر نحوه في سورة "الدخان" في قوله تعالى عن موسى مخاطباً فرعون وقومه: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان: ٢٠] (١).

ب- قال الرازي: المعنى أنه لم يأت في دفع شره إلا بأن استعاذ بالله، واعتمد على فضل الله، لا جرم صانه الله عن كل بلية، وأوصله إلى كل أمنية. واعلم أن هذه الكلمات التي ذكرها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تشتمل على فوائد:

الفائدة الأولى: أن لفظة ﴿إِنِّي﴾ تدل على التأكيد، فهذا يدل على أن الطريق المؤكد المعتبر في دفع الشرور والآفات عن النفس؛ هو الاعتماد على الله، والتوكل على الله تعالى.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت، ١٣٩٣هـ)، جدة، السعودية، مجمع الفقه الإسلامي، دار علم الفوائد، (د. ت)، (٦/٣٨٣).

الفائدة الثانية: أنه قال: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾، فكما أن عند القراءة يقول المسلم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فالله تعالى يصون دينه وإخلاصه عن وساوس شياطين الجن، فكذلك عند توجه الآفات والمخافات من شياطين الإنس؛ إذا قال المسلم: أعوذ بالله؛ فالله يصونه عن كل الآفات والمخافات.

الفائدة الثالثة: قوله: ﴿بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ المعنى: كأن العبد يقول: إن الله سبحانه هو الذي رباني، وإلى درجات الخير رقائي، ومن الآفات وقائي، وأعطاني نعماً لا حد لها ولا حصر، فلما كان المولى ليس إلا الله؛ وجب ألا يرجع العاقل في دفع كل الآفات إلا إلى حفظ الله تعالى.

الفائدة الرابعة: أن قوله: ﴿وَرَبِّكُمْ﴾ فيه بعث لقوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على أن يقتدوا به من الاستعانة بالله، والمعنى فيه أن الأرواح الظاهرة القوية إذا تطابقت على همة واحدة قوي ذلك التأثير جداً، وذلك هو السبب الأصلي في أداء الصلوات في الجماعات.

الفائدة الخامسة: أن فرعون - وإن كان أظهر ذلك الفعل - إلا أنه لا فائدة في الدعاء على فرعون بعينه، بل الأولى الاستعاذة بالله في دفع كل من كان موصوفاً بتلك الصفة، حتى يدخل فيه كل من كان عدواً، سواء كان مظهراً لتلك العداوة؛ أو كان مخفياً لها.

الفائدة السادسة: أن الموجب للإقدام على إيذاء الناس أمران أحدهما: كون الإنسان متكبراً قاسي القلب، والثاني: كونه منكراً

للبعث والقيامة، وذلك لأن المتكبر الفاسي، قد يجمله طبعه على إيذاء الناس، إلا أنه كان مقرأً بالبعث والحساب، صار خوفه من الحساب مانعاً له من الجري على موجب تكبره، فإذا لم يحصل عنده الإيمان بالبعث والقيامة؛ كانت الطبيعة داعية له إلى الإيذاء، والمانع - وهو الخوف من السؤال والحساب - زائلاً، وإذا كان الخوف من السؤال والحساب زائلاً فلا جرم تحصل القسوة والإيذاء.

الفائدة السابعة: أن فرعون لما قال: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾، قال على سبيل الاستهزاء ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾، فقال موسى: إن الذي ذكرته يا فرعون بطريق الاستهزاء، هو الدين المبين، والحق المنير، وأنا أدعو ربي، وأطلب منه أن يدفع شرك عني، وسترى أن ربي كيف يقهرك، وكيف يسُلطني عليك.

واعلم أن من أحاط عقله بهذه الفوائد علم ألا طريق أصلح ولا أصوب في دفع كيد الأعداء وإبطال مكرهم إلا الاستعاذة بالله، والرجوع إلى حفظ الله، والله أعلم^(١).

وعن أبي موسى الأشعري أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا خَافَ قَوْمًا قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْهُ"

(١) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)، تحقيق: سيد عمران، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٢٠هـ، ودار الكتب العلمية، ٢٠٢٠م، (٢٧/٥٦-٥٧).

شُرُورِهِمْ"^(١)، وفي هذا الحديث إيماء إلى دواء من وقع في كيد الأعداء، وترياق من أصابته سموم الأفاعي الحساد البواغي، وذلك الاعتصام بحبل الله سبحانه، والركون بالقلب إلى الرب^(٢).

وقال أيضاً: وفيه التحصن بأسماء الله تعالى، واللوذ به، واللجوء إليه تعالى فيما ينزل بالإنسان مما يشفق منه، وأنه لا ينافي التوكل^(٣).



(١) مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب أرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ٢٠٠٨م، (٤/٤١٤-٤١٥).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد البكري الصديقي الشافعي (ت: ١٠٥٧هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط ٤، ٢٠٠٤م، (٢/٤٧٨-٤٧٩).

(٣) التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن، أبي سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، ط ١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، (٢٩/٣٣٤).

المبحث الثاني





المبحث الثاني:

ذكر مؤمن آل فرعون وموعظته لقومه ومحاботه لهم بالبراهين والحجج المنطقية:



قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۗ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٣٨﴾ يَقُومُ لَكُمْ الْمَلَكُ الْيَوْمَ ظَهْرَيْنَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا آرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٩﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٤٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٤١﴾ وَيَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٤٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبْرُ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٤٥﴾ [غافر: ٢٨، ٣٥].

بعد أن حكى الله تعالى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه ما زاد - في دفع شر فرعون الذي عزم على قتله - على الاستعاذة بالله، أبان الله تعالى

أنه قيض له رجلاً من آل فرعون يدافع عنه لتسكين الفتنة وإزالة الشر، واشتمل دفاعه على أمور ثلاثة كبرى، هي:

- الأولى: استنكار قتل موسى المؤمن بربه، المستضعف مع قومه في مواجهة قوم فرعون.

- الثاني: تحذيرهم بأس الله في الدنيا والآخرة في المكذبين للرسول، وهم جماعات الأحزاب كقوم نوح وعاد وشمود.

- الثالث: تذكيرهم بما فعل آباؤهم الأولون مع يوسف عَلَيْهِ السَّلَام من تكذيب رسالته ورسالة من بعده^(١).

١- قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨].

هذه الآيات تبين أن رجلاً مؤمناً من آل فرعون وقع الحق في قلبه، ولكنه كتم إيمانه، انتدب نفسه ليدافع عن موسى وعمله، على دفع القوم عنه، وسلك في خطابه لفرعون وملئه مسالك شتى، وتدسس إلى قلوبهم بالنصيحة، وأثار حساسيتها بالتخويف والإقناع، وجال هذا الرجل جولة ضخمة مع المتآمرين من فرعون وملئه، واستخدم منطق الفطرة والعقل والحكمة في حذر ومهارة وقوة كذلك^(٢).

(١) تفسير المنير، (١١٢/٢٤).

(٢) في ظلال القرآن، (٥/٣٠٧٩).

أ- ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: أخبر القرآن عن مؤمن آل فرعون بأنه ﴿رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، والوصف بالرجولة هنا وصف تكريم وتشريف، ويراد بالرجولة المعنى المادي والمعنى النفسي.

المعنى المادي: وهو كونه رجلاً فهو رجل ذكر ليقابل الوصف المقابل في الجنس الآخر، يقال: هذا رجل ذكر، وهذه امرأة أنثى.

والمعنى النفسي: هو كونه يقف مواقف الرجال، القائمة على قوة الإرادة والعزيمة والهمة والجرأة والشجاعة والإقدام، فهذه المعاني تحتاج إلى رجولة، ولا يقدر عليها كل الذكور، إنما يقدر عليها الرجال من الذكور، وكل رجل ذكر، لكنه ليس كل ذكر رجلاً، فهناك ذكور لا يعرفون معاني الرجولة، ولا يقفون مواقف الرجال.

- إنه ﴿رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ﴾: والتنوين هنا مقصود، إنه تنوين للتكريم، كما أنه تنوين للإبهام، وهذا الإبهام دعوة لنا كي لا نحاول تجديد وتعيين اسمه، وتحديد اسمه لا يقدم فائدة جديدة، ولا يضّر الجهل به، ووصفه القرآن بأنه: ﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: وهذا تحديد قرآني لنسبه، وهو رد على من يزعم أنه "إسرائيلي"، وكونه من آل فرعون يعني أنه كان من قادة النظام الفرعوني، ومن المقرّبين عند فرعون، والمتنفذين في قومه^(١).

(١) في ظلال القرآن، (٥/٣٠٧٩).

ب- ﴿يَكْفُرُ بِإِيمَانِهِ﴾: وإيمان هذا القائد بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ شهادة لموسى في نجاحه الدعوي، حيث تمكن من إيصال الدعوة إلى هذا الزعيم الفرعوني، وإقناعه بالدخول في دين الله، كما أن إيمانه شهادة له، فرغم أنه مقرب عند فرعون إلا أنه فتح قلبه للإيمان وأنواره، فاختر ما عند الله، إن البيئة الفرعونية الكافرة لم تفسده، ولم تطمس على فطرته، إنه آمن بالله، وكفر بفرعون، وهذا دليل على جرأته وشجاعته، فهو يعلم من هو فرعون، وما هو بطشه وطغيانه، ومع ذلك آمن بالله، واستعد لدفع ثمن هذا الموقف.

وقد أخبر القرآن أن هذا الرجل كان: ﴿يَكْفُرُ بِإِيمَانِهِ﴾، ويشير إلى هذا أن دعوة موسى في بعض مراحلها كانت سرية، وأن بعض المؤمنين به كانوا "سريين"، يكتُمون إيمانهم.

لقد كانت دعوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تأخذ جانبيين:

الأول: الجانب العلني: وهو المتمثل في إمام الدعوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث كان يتحرك تحركاً علنياً ويدعو ويحاور ويناقش فقد قابل فرعون، وكانت المباراة في يوم الزينة بينه وبين السحرة، وتحدّث مع الملأ من قوم فرعون.

الثاني: الجانب السري: حيث كان بعضهم يؤمنون به، ويكتُمون إيمانهم، وقد عرفنا ثلاثة من هؤلاء كانوا مقربين من عند فرعون:

- امرأة فرعون.

- والذي أخبر موسى عن ائتمار الملائكة به لقتله، وهناك من العلماء من يقول إنه مؤمن آل فرعون.

- ومؤمن آل فرعون.

إن كتم هؤلاء وغيرهم إيمانهم دليل على جواز كتمان إيمان بعض المؤمنين في بعض الحالات الخاصة، وعلى جواز سرية الدعوة في بعض الظروف والأجواء، فإذا ما أسر بعض الدعاة دعوتهم؛ وإذا ما كتم بعضهم انتماءهم؛ فلا بد أن يعلن آخرون إيمانهم، وأن يظهروا دعوتهم ليعرف الناس الدعوة من خلال بعض "رموزها" وقادتها، فيقتدوا بهم، ويستعد هؤلاء المجاهدون لدفع الثمن الباهظ المترتب على ذلك، ففي قصة مؤمن آل فرعون كان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يجهر بإعلان دعوته، وإظهار إيمانه، بينما كان مؤمن آل فرعون يكتُم إيمانه^(١).

ومع أن هذا الرجل المؤمن كان يكتُم إيمانه إلا أنه اضطر الآن إلى إظهار إيمانه، إن حياة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في خطر، وإن فرعون يريد أن يقتله، ولا يمكن لهذا القائد الفرعوني أن يحول دون ذلك إلا بإظهار إيمانه، وإذا أظهر إيمانه سيكشف أوراقه أمام فرعون، فماذا يفعل؟ هل يبقى كاتماً إيمانه حريصاً على مركزه ومنصبه؛

(١) القصص القرآني، المصدر السابق، (٢/٤٩١).

ولو قتل موسى فعليه رحمة الله؟ أم يقوم بواجبه ويتنصر لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويدافع عنه، ويظهر إيمانه، وليكن بعد ذلك ما يكون؟

أخذ بالخيار الثاني المتفق مع إيمانه ورجولته وشجاعته، وقدم مصلحة الدعوة على مصلحته هو، بل إن مصلحته هو لا تكون إلا مع مصلحة الدعوة، وهذا درس بليغ للدعاة في وجوب تقديم مصلحة الدعوة على مصالحهم الشخصية المادية، وفي وجوب التضحية بالمنافع الشخصية من أجل دعوتهم ودينهم، وعندما اضطر مؤمن آل فرعون للدفاع عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والوقوف أمام فرعون، خطأ خطوات منهجية في غاية الحكمة والترتيب والتخطيط، وقدم "بياناً" دعويًا حكيماً، وتمكن من إحراج فرعون وهزيمته، وأقام الحججة عليه وعلى قومه، وكان في ذلك كله ناجحاً نجاحاً كبيراً، فقد أنكر الرجل على قومه القتل، وبيّن أنه لا ذنب على موسى إلا إيمانه بالله، وهذا ليس ذنباً^(١).

أ- ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾: فهل هذه الكلمة البريئة المتعلقة باعتقاد قلب، واقتناع نفس، تستحق القتل، ويرد عليها بإزهاق روح؟ إنها في هذه الصورة فعلة منكرة بشعة ظاهرة القبح والبشاعة^(٢)، فتقدير الكلام بالإنكار عليهم في قتله واستقبحه لأمرين:

(١) بلاغة الاحتجاج العقلي في القرآن الكريم، زينب بنت عبد اللطيف الكردي، تحقيق: محمد بن علي الصامل، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص ٢١٧.

(٢) في ظلال القرآن، (٥/٣٠٧٩).

أما أولاً؛ فلأنه قائل بالتوحيد لله عَزَّوَجَلَّ، وأما ثانياً؛ فلأنه قد جاءكم بالمعجزات الواضحة في هدايتكم للخير^(١)، وربما كان الإنكار بطريق الاستفهام في هذا السياق أطفً وقعاً على معاند متجبر من صيغة النهي بما توجه حقيقته من إلزام واستعلاء، قد يؤدي إلى النفور^(٢).

- إيثار التعبير بالنكرة: ﴿رَجُلًا﴾ ليدل على عظمة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في الرجال حساً ومعنى، وقد ذكر البلاغيون أن من أعراض التنكير التعظيم والتهويل والتكثير لتلين قلوب المخاطبين، واستدراجهم إلى الاعتراف بشناعة الفعل، والنظر إلى الموقف بمعزل عن الأشخاص، ليكون الحكم أقرب إلى الإنصاف والموضوعية^(٣).

وتعليل موجب قتلهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بما ينافيه، لمزيد من التشنيع والإنكار لفعلة الإقدام على قتل نفس محرمة لأجل كلمة حقة هي قوله: ﴿رَبِّ أَلَّهُ﴾، وذلك لأنه ما زاد على أن قال: ﴿رَبِّ أَلَّهُ﴾ وجاء بالبينات، وذلك لا يوجب القتل البتة^(٤).

وإضافة الربوبية إلى ضمير المتكلم المحكي عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ﴾، دون ضمير المخاطبين إمعاناً في استدراجهم

(١) بلاغة الاحتجاج العقلي في القرآن الكريم، ص ٢١٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٢١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢١٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢١٨.

إلى النظر في الأمر، وأنه لازال يتعلق بالمتكلم وحده، والقصر بتعريف الطرفين: ﴿رَبِّ آلَ اللَّهِ﴾ فيكون المعنى لا ربّ لي إلا الله سُبحانه وتعالى، وفيه تعريض بمن اتخذ فرعون ربّاً مع أنه عبد حقير^(١)، كما أن فيه دلالة على أن فرعون لم يسع إلى قتله إلا انتصاراً لنفسه، ودفاعاً عن ملكه وبغية.

وقد ذكرهم بأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ جاء بكلمة الحق، ومعه بيّنات ومعجزات لصدقه؛ يصعب أن يماروا فيها، فقد عهدوها، وشهدوها، وعمّتهم آثارها النافعة من عند ربهم؛ لا ربّه وحده، وبذلك خطا بهم خطوة أخرى لبيان سمة أخرى تستدعي التفكير في قرارهم، وهو استدراج لهم إلى الاعتراف لتلييس قلوبهم، وكسر إرادتهم^(٢).

ب- ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: لأن بيئته اشتهرت عندهم اشتهاراً علم به الصغير والكبير، أي: فهذا لا يوجب قتله، فهلاً أبطلتم قبل ذلك ما جاء به من الحق، وقابلتم البرهان ببرهان يرده؟ ثم بعد ذلك نظرتم: هل يحل قتله إذا ظهرتم عليه بالحجة أم لا؟ فأما وقد ظهرت حجته؛ واستعلى برهانه؛ فبينكم وبين حل قتله مفاوز، تنقطع بها أعناق كثيرة^(٣).

(١) المصدر نفسه، ص ٢١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١٩.

(٣) تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، السعودية، الدمام، دار ابن الجوزي، ط ٤، ١٤٣٥ هـ،

- وفي قوله: ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: إضافة صفة الربوبية إلى ضمير المخاطبين ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بعد ذكر البيّنات؛ بعد أن هيأ نفوسهم للقبول، في حين كانت البداية بإضافتها إلى ضمير المتكلم المحكي عن موسى ﴿رَبِّ آلَ اللَّهِ﴾، ففي الإضافة إلى ضمير المخاطبين استنزال لهم عن المكابرة استدراجاً إلى الاعتراف بالله رباً لهم، وليس لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وحده، فهو ربهم، لا إحسان عندهم إلا منه، فكما أن ربوبيته لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ اقتضت منه الاعتراف؛ ينبغي أن تكون ربوبيته لهم داعية إلى ذلك، ثم قال لهم مقالة عقلية تقنع كل عاقل بأي حالة قدرت.

ج- ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ: ﴿

أي: موسى بين أمرين، إما كاذباً في دعواه؛ أو صادقاً فيها، فإن كان كاذباً فكذبته عليه، وضرره مختص به، وليس عليكم في ذلك ضرر حيث امتنعتم من إجابته وتصديقه، وإن كان صادقاً -وقد جاءكم بالبيّنات، وأخبركم أنكم إن لم تجيبوه عذبكم الله عذاباً في الدنيا، وعذاباً في الآخرة- فإنه لا بد أن يصيبكم بعض الذي يعدكم وهو عذاب الدنيا، وهذا من حسن عقله، ولطف دفعه عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث أتى بهذا الجواب الذي لا تشويش فيه عليهم، وجعل الأمر دائراً بين تلك الحاليتين وعلى كل تقدير فقتله سفه وجهل منكم^(١).

(١) تفسير السعدي، (٤/١٥٤٧).

ونلاحظ أن مؤمن آل فرعون سلك مع قومه مسلكاً في منتهى الإنصاف في الجدل والإفحام^(١)، وبني كلامه على مسلمة أن كل إنسان يتحمل تبعه عمله، ويجني عاقبته، وتتأزر اللطائف البيانية فيها لإبراز بلاغة الحجة، ودعم أسلوب الاستدراج، ثم انتقل بعد ذلك إلى التهديد من طرف خفي، وانتقل إلى أمر أعلى، منتهزاً سانحة التقسيم والحديث عن موسى؛ ليقول كلاماً يحتمل الوعد والوعيد بطريق الإنصاف، فينطبق على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كما ينطبق على قومه^(٢).

د- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾: ثم انتقل - رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ - وأرضاه، وغفر له ورحمه- إلى أمر أعلى من ذلك، وبيان قرب موسى من الحق، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ أي: متجاوز الحد بترك الحق والإقبال على الباطل.

- ﴿كَذَّابٌ﴾: بنسبته ما أسرف فيه إلى الله، فهذا لا يهديه الله إلى طريق الصواب، لا في مدلوله ولا في دليله، ولا يوفقه للصراط المستقيم، أي: وقد رأيتم ما دعا موسى إليه من الحق، وما هداه الله إلى بيانه من البراهين العقلية، والخوارق السماوية، فالذي اهتدى هذا الهدى لا يمكن أن يكون مسرفاً ولا كاذباً، وهذا دليل على كمال علمه وعقله، ومعرفته بربه^(٣).

(١) في ظلال القرآن، (٥/٣٠٧٩).

(٢) بلاغة الاحتجاج العقلي، ص ٢٢٠.

(٣) تفسير السعدي، (٤/١٥٤٧).

وقال الدكتور محمد أبو موسى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾: وهذا عام، وأن الكذاب من أهل الضلالة، وليس من أهل الهدى، وهذا ينطبق على كل مسرف كذاب، وليس ذمًا في أحد، ولكن فيه معنى آخر هو أن الذي جاء بالبينات من ربه هو مهتد، لأن القاعدة أن الله لا يهدي من جميع هاتين الخسيتين: الإسراف الذي منه التهديد بالقتل؛ والكذب منه أن يظهر في الأرض الفساد، وهو بهذا فرغ من بيان الموقف الذي يوجبه العقل مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذكرت أن بعض المفسرين ذكروا أنه هو الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، ويقول لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إن الملائكة يأتمرون بك ليقتلوك، وربما كان من الذين أَلْفُوا موسى، وألفهم في بيت فرعون، وهذا شيء آخر، وإنما نحن الآن مع رجل مؤمن يدافع عن الإيمان، وعن الذي جاء بالبينات من ربه، وهو مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يشبه سيدنا أبا بكر مع سيدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ مؤمن ومحِبٌّ^(١).

مقارنة بين مؤمن آل فرعون وأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وقد لاحظ الإمام البخاري ذلك في كتاب التفسير من صحيحه، في باب تفسير سورة المؤمن، وأورد حديثًا بين فيه موقف أبي بكر

(١) من حديث يوسف وموسى في الذكر الحكيم، محمد محمد أبو موسى،

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الدِّفَاعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَوَى بِسَنَدِهِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْلِي بِفَنَاءِ الْكَعْبَةِ؛ إِذْ أَقْبَلَ عَقْبَةَ بْنَ أَبِي مَعِيْطٍ، فَأَخَذَ بِمَنْكَبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ بِمَنْكَبِهِ، وَدَفَعَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(١).

وقد فضل علي بن أبي طالب أبا بكر على مؤمن آل فرعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد خطب ذات يوم الناس فقال: من أشجع الناس؟ قالوا: أنت يا أمير المؤمنين، قال: أما أني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن أشجع الناس هو أبو بكر، إنا جعلنا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عريشاً، فقلنا: من يكون مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لثلاثا يهوي عليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر، شاهراً بالسيف على رأس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يهوى إليه أحد إلا أهوى إليه، فهذا أشجع الناس! ثم قال: ولقد رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد أخذته قريش، فهذا يحادّه، وهذا يتلته، ويقولون: أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر، يضرب هذا، ويجاهد هذا، ويتلثل هذا، وهو يقول: ويلكم، أقتلون رجلاً أن

(١) البخاري، رقم ٤٨١٥، كتاب التفسير.

يقول ربي الله؟ ثم ردّ عليّ بردة كانت عليه، فبكى حتى أخضلت لحيته، ثم قال: أنشدكم الله: أمؤ من آل فرعون خير أم هو؟ فسكت القوم، فقال علي: فوالله لساعة مع أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه^(١).

وممن كتم إيمانه وقام بمهام خاصة بتوجيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وموافقته كل من:

- نعيم بن مسعود لما أسلم وكتم إيمانه، أوقع بالخدعة بين قريش وغطفان من جهة وبين يهود بني قريظة، فقد استخدم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سلاح التشكيك والدعاية لتمزيق ما بين الأحزاب من ثقة وتضامن، فقد كان يعلم أن هناك تصدعاً خفيفاً بين صفوف الأحزاب، فاجتهد أن يبرزه، ويوسع شقته، ويستعمله في جانبه، فقد أطمع غطفان في ثمار المدينة ففكك عزمها، والآن ساق المولى عَزَّوَجَلَّ نعيم بن مسعود الغطفاني إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليعلن إسلامه، ويقول له: يا رسول الله، إن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إنما أنت فينا رجلٌ واحدٌ، فخذلْ عَنَّا إِنْ اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ"، فقام نعيم يزرع الشك بين الأطراف، وذلك بأمر من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأغرى اليهود بطلب رهائن من قريش لئلا تدعهم وتنصرف عن

(١) البداية والنهاية، الإمام أبي الفداء ابن كثير، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط وبيشار عواد، دمشق، دار ابن كثير، ط ٦، ٢٠٢١م، (٣/ ٢٧١-٢٧٢).

الحصار، وقال لقريش بأن اليهود إنما تطلب الرهائن لتسليمها للمسلمين ثمناً لعودتهم إلى صلحهم، وقد نجحت دعاية نعيم بن مسعود أيما نجاح، فغرست روح التشكيك وعدم الثقة بين قادة الأحزاب، مما أدى إلى كسر شوكتهم، وتثبيط عزمهم، وكان من أسباب نجاح مهمة نعيم قيامها على الأسس التالية:

- أنه أخفى إسلامه على كل الأطراف، بحيث وثق كل طرف فيما قدمه له من نصح.

- أنه ذكّر بني قريظة بمصير بني قينقاع وبني النضير، وبصّرهم بالمستقبل الذي ينتظرهم إذ هم استمروا في حروبهم للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان هذا الأساس سبباً في تغيير أفكارهم، وقلب مخططاتهم العدوانية.

- أنه نجح في إقناع كل الأطراف بأن يكتف كل طرف ما قاله، وفي استمرار هذا الكتمان نجاح في مهمته، فلو انكشف أمره لدى أيّ طرف من الأطراف لفشلت مهمته، وهكذا قام نعيم بن مسعود بدور عظيم في غزوة الأحزاب^(١).

إن نعيم بن مسعود الغطفاني كتم إيمانه عن القوم الذين كانت تربطه بهم علاقة متينة قبل إسلامه، مما ساعده ذلك النجاح في مهمته الخطيرة، والتي أسهمت في فك الحصار عن المدينة في غزوة الأحزاب.

(١) السيرة النبوية، علي الصلابي، المرجع السابق، (٢/ ٢٢٠).

- وممن كتم إيمانه بمكة وقام بمهام خاصة عمّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فلا شك أنه قد آمن برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأنه ساعة أخذ العهد لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيعة العقبة الثانية وكان لم يعلن إسلامه بعد، ذهب للأنصار وقال: هذا محمد في متعة من قومه، فإن شئتم أن تأخذوه، فاعهدوا على كذا وكذا، وإلا فتركوه، فكيف يأخذ العهد لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ما يزال على دين قريش^(١)؟

وكان العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة، يرقب تحركات قريش واستعداداتها العسكرية، فلما تحركت في غزوة أحد بجيشها إلى المدينة، بعث العباس رسالة عاجلة إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضمّتها جميع تفصيلات الجيش، وأسرع رسول العباس لإبلاغ الرسالة، وجدّ في السير، حتى إنه قطع الطريق بين مكة والمدينة -التي تبلغ مسافتها خمسمائة كيلو متراً- في ثلاثة أيام، وسلّم الرسالة إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في مسجد قباء^(٢).

كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتابع أخبار قريش بدقة بواسطة عمّه العباس، قال ابن عبد البر: وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يكتب أخبار المشركين إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان المسلمون يتقوون بمكة، وكان

(١) تفسير الشعراوي، (٢١/ ١٣٣٦٤).

(٢) الرحيق المختوم، صفى الرحمن المباركفوري (ت: ١٤٢٧هـ)، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٧م، ص ٢٥٠.

يحب أن يقدم على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكتب إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن مقامك في مكة خير^(١).

٢- قوله تعالى: ﴿يَقُولُ لَكُمْ أَلْمُكُ أَيُّومَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا آرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

وبعد أن خاطب مؤمن آل فرعون عقول قومه بموضوعية استثار مصالحتهم الدنيوية، ولمسهم لمسة مادية، فقال لهم:

أ- ﴿يَقُولُ لَكُمْ أَلْمُكُ أَيُّومَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾:

فذكرهم بملكهم وسلطانهم ورفاهيتهم في حياتهم، وحذرهم من الأقدام على قتل موسى بطريق غير مباشر، وكأنه يقول لهم: اليوم لكم الملك، وأنتم ظاهرون في الأرض، منعمون فيها، فإذا قتلتم موسى - وكان صادقاً في أنه نبي رسول الله - فماذا سيفعل الله بكم؟ إنه سينتصر لنبيه، ويوقع بكم بأسه وعذابه، فهل تقدرون على دفع العذاب عنكم؟ إنه لا يوجد أحد ينصرنا من بأس الله، ونلاحظ في كلمات هذا الداعية الحكيم أنه لم يوجه كلامه لفرعون، وإنما وجه كلامه للقوم، ولعل من أهدافه في ذلك ألا يبدأ "بيانه" في

(١) الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ابن عبد البر القرطبي المالكي، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الجيل، ط ١، ١٩٩٢م، (٢/ ٨١٢).

احتكاك مباشر مع فرعون، حتى لا يثيره، والأهم من هذا أنه يريد أن يؤثر في القوم، وأن يكسبهم إلى جانبه، فهم المقصودون في كلامه. وكان قاصداً "تجاهل" فرعون، وعدم مخاطبته لأنه لا يطمع في تغيير موقفه، وكسبه إلى جانبه، ومن حرصه على التقرب إلى قومه، أشرك نفسه معهم في دفع ثمن قتل موسى، واستقبال عذاب الله، والعجز عن دفعه، وذلك في قوله: ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ يقول لهم: أنا واحد منكم، مصيرنا جميعاً واحد، فلنفكر معاً كيف نتعد في بأس الله وعذابه^(١).

- وفي قوله: ﴿يَقْوَمُ﴾: تحبب وتقرب إلى قومه، وهذه الآية فيها فقه سياسي، وفي مجيئها بعد الآية التي قبلها دلالة على معنى جديد؛ لأن التي قبلها هي الرفض القاطع لإنكار البيئات، لأن البديل لإنكار البيئات هو الظلم، وأن الحصن الحصين الذي يحمي الملك هو الحق والعدل والانقياد للبيئة، لأن البيئة معنى عام، قد تكون في الدين، وقد تكون في العلم، وقد تكون في السياسة، ومن حصانة الملك ومن حمايته العدل والحق والإنصاف، إن مؤمن آل فرعون حذر قومه من خطورة الظلم المتمثل في إنكار البيئات، وأن نتيجة الظلم وإنكار البيئة هو ضياع هذا الملك، لأن الله لا يترك الطاغين وإنما ينزل بهم بأسه، وإذا نزل بنا بأس الله فلن نجد عليه نصيراً^(٢).

(١) القصص القرآني، (٢/ ٤٩٤).

(٢) من حديث يوسف وموسى، ص ٤٧٩.

لقد بين مؤمن آل فرعون لقومه بأن الله أنعم عليكم بهذا الملك، والظهور في أرض مصر بالكلمة النافذة، والجاه العريض، فراعوا هذا النعمة بشكر الله، وتصديق رسوله ﷺ، واحذروا نعمة الله إن كذبتم رسوله، وأن هذه الجنود والعساكر لا تغني عنا شيئاً من بأس الله إن أرادنا بسوء^(١).

إن الرجل المؤمن يشعر بما يشعر به القلب المؤمن من أن بأس الله أقرب ما يكون لأصحاب الملك والسلطان في الأرض، فهم أحق الناس بأن يحذروه، وأجدر الناس بأن يحسوه ويتقوه، وأن يبيتوا منه على وجل، فهو يترصد بهم في كل لحظة من لحظات الليل والنهار، ومن ثم يذكرهم بما هم فيه من الملك والسلطان، ثم هو يجعل نفسه فيهم، ويذكرهم بأس الله ﷻ ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾، ليشعرهم أن أمرهم يهيمه، فهو واحد منهم، ينتظر مصيره معهم، وهو إذن ناصح لهم، مشفق عليهم، لعل هذا أن يجعلهم ينظرون إلى تحذيره باهتمام، ويأخذونه مأخذ البراءة والإخلاص، وهو يحاول أن يشعرهم أن بأس الله إن جاء فلا ناصر منه، ولا مجير عليه، وأنهم إزاءه ضعاف ضعاف^(٢).

لقد استخدم مؤمن آل فرعون المنهج العقلي في خطابه لقومه في الآية السابقة، وفي هذه الآية وظف المنهج العاطفي في أسلوب

(١) التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن، المصدر السابق، (٢٩/٣٤٢).

(٢) في ظلال القرآن، (٥/٣٠٧٩)، وما بعدها.

مميز تحت جناح عاطفة القرابة الحميمة، حيث جمع فيها مؤثرات نفسية، ومؤثرات قيمية، ومؤثرات حضارية، ومؤثرات عقدية، وكل هذه المؤثرات تجذب، وتستدر العاطفة لأنها تجمع التقارب بين الداعي والمدعو^(١).

ومن المؤثرات التي استعملها في خطابه أيضاً: المؤثر الحضاري المتمثل في نعمة الملك ﴿يَقُولُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَهَرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾، فخوفهم من انتزاعه منهم لو أنهم تعرضوا لقتل موسى، والتخويف في حد ذاته من أساليب التأثير العاطفي^(٢)، وكان فرعون حاضراً المشهد، واستمع إلى كلمات الرجل المؤمن، وأدرك فرعون أثرها على القوم، وخشي أن ينجح المؤمن في التأثير فيهم، وكسبهم إليه، فاضطر فرعون إلى التدخل، والتصريح بأن الحق لا يكون إلا معه، ولهذا خاطبهم بمتهى الاستعلاء والتكبر^(٣).

ب- قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا آتَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

- قال ابن كثير: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لقومه راداً على ما أشار به هذا الرجل الصالح البار الراشد؛ الذي كان أحق بالملك من فرعون:

(١) مؤمن آل فرعون؛ دراسة دعوية تحليلية، بشير علي أحمد الخياط، رسالة دكتوراه، السودان، كلية الدعوة الإسلامية في جامعة أم درمان، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ص ٣٤٠.

(٢) مؤمن آل فرعون؛ دراسة دعوية تحليلية، الخياط، المرجع السابق، ص ٣٤٢.

(٣) القصص القرآني، (٢/ ٤٩٤).

﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾، أي: ما أقول لكم وأشير عليكم إلا ما أراه لنفسي؛ وقد كذب فرعون، فإنه كان يتحقق صدق موسى فيما جاء به من الرسالة: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، فقوله: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ كذب فيه وافتري، وخان الله ورسوله ورعيته، فغشهم، وما نصحهم، وكذا قوله: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾، أي: وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصدق والرشد، وقد كذب أيضاً في ذلك، وإن كان قومه قد أطاعوه واتبعوه، قال الله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَصَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [طه: ٧٩]^(١).

- قال الشنقيطي: وهذان الأمران اللذان ذكر الله تعالى عن فرعون أنه قالهما في هذه الآية الكريمة، قد بين في آيات أخر أن فرعون كاذب في كل واحد منهما، أما الأول منهما وهو قوله: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ فقد بين تعالى كذبه فيه في آيات من كتابه، وأوضح فيها أنه يعلم ويتيقن أن الآيات التي جاء بها موسى حق، وأنها ما أنزلها إلا الله، وأنه جحدها هو ومن استيقنها معه من قومه، ليستخفوا بها عقول الجهلة منهم، كقوله تعالى في سورة

(١) تفسير ابن كثير، (٧/ ١٣١-١٣٢).

النمل: ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تَمَسُّعِ آيَاتِ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٢، ١٥]، فقوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ دليل واضح على أن فرعون كاذب في قوله: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ وكقوله في سورة بني إسرائيل: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَايِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنَ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢].

فقول نبي الله موسى لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مؤكداً إخباره بأن فرعون عالم بذلك القسم، وقد دل أيضاً على أنه كاذب في قوله: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾، وكان غرض فرعون بهذا الكذب التدليس والتمويه؛ ليظن جهلة قومه أن معه الحق، كما أشار تعالى إلى ذلك في قوله: ﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾، وأما الأمر الثاني وهو قوله: ﴿وَمَا أهدِيكُمْ إِلَّا سبِيلَ الرَّشَادِ﴾ فقد بين كذبه فيه في آيات في كتابه، كقوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۗ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَصَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾^(١).

(١) أضواء البيان، (٦/ ٣٨٥-٣٨٦).

- وقال الشيخ محمد متولي الشعراوي: لاحظ منطق التسلسل في قوله: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾، ومنطق التزييف في قوله: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾، لكن هذا من فرعون لم يمنع الرجل المؤمن أن يستمر في دعوته، ولم يصدّه أن ينصح قومه^(١)، فقد كان يرى أن عليه أن يحذر وينصح، وييدي من الرأي ما يراه، ويرى من الواجب أن عليه أن يقف إلى جوار الحق الذي يعتقده، كائناً ما كان رأي الطغاة، ثم هو يطرق قلوبهم بإيقاع آخر؛ لعلها تحسّ وتستيقظ، وترتعش، وتلين قلوبهم على مصارع الأحزاب قبلهم، وهي شاهدة بأس الله في أخذ المكذبين والطغاة^(٢).

٣- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [غافر: ٣٠-٣٣].

لم يلتفت الرجل المؤمن لفرعون، بل استمر في تجاهله له، واستمر في توجيه كلامه للقوم مستخدماً لحقائق التاريخ:

أ- ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [غافر: ٣٠] أي: إني أخاف أن ينزل بكم مثل ما نزل بالأمم المكذبة^(٣).

(١) تفسير الشعراوي، (٢١/١٣٣٦٩).

(٢) في ظلال القرآن، (٥/٣٠٨٠).

(٣) التفسير الموضوعي، (٧/١٣٢).

ب- ﴿مِثْلَ ذَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ أي: الذين كذبوا رسل الله في قديم الدهر، كقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم من الأمم المكذبة، كيف حل بهم بأس الله، وما رده عنهم راداً، ولا صده عنهم صاداً^(١).

لقد لمس الرجل المؤمن قلوب قومه لمسة تاريخية، حيث ذكّرهم بمن كان قبلهم من الأحزاب والأقوام الكافرة، ودعاهم إلى التفكير بما جرى لهم، فلعل ذلك يدعوهم إلى تغيير موقفهم، إنه يصارحهم بخوفه عليهم من أن يعذبهم الله، كما عذب قوم نوح وعاد والذين من بعدهم، وما عليهم إلا أن يؤمنوا بالله لئلا يصيبهم ما أصابهم^(٢).

وقد استخدم مؤمن آل فرعون علم التاريخ، ومعرفته بتاريخ النبوات في تحذيره ونصحه لقومه، وبيّن لهم ما حلّ بالأمم التي رفضت البيّنات، وأن الله أغرق قوم نوح، وأهلك عاداً بريح صرصر، وأهلك ثمود بالطاغية، وأن قوم فرعون لهم ثقافة دينية فذكرهم بها، ثم أن العلم بدأب قوم نوح، وعاد وثمود والذين من بعدهم هو الذي يفتح باب قلوبهم للآية الجليلة^(٣).

(١) تفسير ابن كثير، (٧/١٣٢).

(٢) القصص القرآني، (٢/٤٩٦).

(٣) من حديث يوسف وموسى، ص ٤٨٣.

- ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾: وأنهم كانوا ظالمين لما رفضوا الآيات وظلموا الناس الذين حالوا بينهم وبين الآيات، وظلموا أنفسهم^(١).

لقد بين الله عَزَّجَلَّ على لسان مؤمن آل فرعون إنما أهلكهم الله بذنوبهم، وتكذيبهم رسله، ومخالفتهم أمره، فأنفذ فيهم قدره^(٢).

والآية فيها إشارة إلى سنة من سنن الله الثابتة، وإلى عدله المطلق ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ أي: لا يعذبهم بغير ذنب أذنبوه، ولا جرم أسلفوه^(٣)، وهذا يعني أن تدميرهم كان عدلاً؛ لأنهم استحقوه بأعمالهم، وسنة الله مطردة في هلاك الأمم الظالمة عدلاً منه^(٤).

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ يعني: أن عذاب الله ليس بمقصر على من تقدم من الأمم الظالمة، بل إن سنته تعالى في أخذ كل الظالمين واحدة، فلا ينبغي أن يظن أحد أن هذا الهلاك قاصر بأولئك الظلمة السابقين، لأن الله تعالى لما حكى أحوالهم بين أن كل من شارك أولئك المتقدمين في أفعالهم التي أدت إلى هلاكهم؛ فلا بد أن يشاركونهم في ذلك الأخذ الأليم الشديد، فالآية تحذير من وخامة الظلم، فلا يغتر الظالم بالإمهال،

(١) المصدر نفسه، ص ٤٨٣.

(٢) تفسير ابن كثير، (٧/١٣٢).

(٣) مؤمن آل فرعون، بشير الخياط، ص ٢١١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢١٢.

وبالعودة إلى منطق الرجل يلحظ أن الظلم في قوله: ﴿ظُلْمًا﴾ نكرة، وردت في سياق النفي، والنكرة في سياق النفي تدل على العموم، وهذا إثبات لعدل الله المطلق الذي لا يماري فيه عاقل، وهذا الأسلوب فيه ترهيب وفيه تطمين ودعوة^(١).

ج- ﴿وَيَقَوْمٌ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢]: وبعد أن لفت أنظارهم إلى الماضي انتقل بهم إلى المستقبل، إلى الآخرة التي هم مقدمون عليها، وصوّر لهم بعض ما ينتظرهم هناك من عذاب^(٢).

وفي ذلك اليوم ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ ينادي الملائكة الذين يحشرون الناس للموقف، وينادي أصحاب الأعراف على أصحاب الجنة وأصحاب النار، وينادي أصحاب الجنة على أصحاب النار، وأصحاب النار أصحاب الجنة، فالتنادي واقع في صور شتى، وتسميته ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ تلقي عليه ظل التصايح، وتناوح الأصوات من هنا وهناك، وتصور يوم زحام وخصام^(٣).

قال السعدي: لما خوّفهم العقوبات الدنيوية، خوّفهم العقوبات الآخروية فقال: ﴿وَيَقَوْمٌ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ أي: يوم القيامة

(١) مؤمن آل فرعون، بشير الخياط، ص ٢١٢.

(٢) القصص القرآني، (٤٩٦/٢).

(٣) في ظلال القرآن، (٥/٣٠٨٠).

حين ينادي أهل الجنة أهل النار: ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤] إلى آخر الآيات.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠]، وحين ينادي أهل النار مالكا ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ فيقول: ﴿إِنَّكُمْ مَلَائِكُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، وحين ينادون ربهم: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا عُذْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، وحين يقال للمشركين: ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ [القصص: ٦٤]، فخوفهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا اليوم المهول، وتوجع لهم أن أقاموا على شركهم بذلك^(١).

د- ﴿يَوْمَ نُؤَلِّقُ مَذْبِحِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٣]:

- ﴿يَوْمَ نُؤَلِّقُ مَذْبِحِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ﴾: بأسلوب التهيب التصويري لينقلهم إلى الآخرة، في مشهد حي يصورهم وهم فأرون مدبرون، يطلبون النجاة والسلامة، ويتطلعون إلى أي منقذ ينقذهم، فلا يجدون، في حين أن "صورة الفزع والفرار" هي أولى الصور هنا للمستكبرين المتجبرين في الأرض، أصحاب الجاه والسلطان، أعداء الدعوة والإيمان^(٢).

(١) تفسير السعدي، (٤/١٥٤٩).

(٢) مؤمن آل فرعون، بشير الخياط، ص ٢١٣.

- ﴿مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ﴾: لا من أنفسكم قوة تدفعون بها عذاب الله، ولا ينصركم من دونه أحد: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۖ﴾ ﴿قَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ٩، ١٠] (١).

هـ- ﴿وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾: لأن الهدى بيد الله، فإذا منع عبده الهدى لعلمه أنه غير لائق به لخبثته؛ فلا سبيل إلى هدايته (٢)، وبعد أن لفت مؤمن آل فرعون نظر قومه إلى المصير الأخرى وما فيه بيان فساد ما هم عليه عقب على ذلك بذكر سنة من سنن الله تتعلق بالهدى والضلال (٣).

فجملته ﴿وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ معناها بعيد الغور، وسياقها في كلام هذا الصادق الذي لا يكذب قومه، يدل على بُعد غورها، وأن مؤمن آل فرعون على درجة من الثقافة الدينية عالية، وعلى استيعاب كبير لأصول دعوة الأنبياء والمرسلين، وإيمان بها حقيقي، وقناعة راسخة بدعوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، وقد بين في حديثه الماضي مجموعة من سنن الله الجارية.

- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾

- ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾

(١) تفسير السعدي، (٤/١٥٤٩).

(٢) تفسير السعدي، المصدر نفسه، (٤/١٥٤٩).

(٣) مؤمن آل فرعون، الخياط، ص ٢١٥.

وفي هذه الآية ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ حقيقة راسخة عند كل الموحدين، وفي كل النبوات، والرجل المؤمن من آل فرعون يقولها وهو يدعو قومه إلى الهدى؛ لأنه يعلم أن اليقين بأن من يضلل الله فما له من هاد، لا يجعلنا لا ندعو إلى الهدى، أولاً: لأننا لا نعرف من الذي أضلّه الله، ولأن الله علّمنا أن من طلب الهدى هداه الله، وأن من أناب إليه سبحانه فتح له باب رحمته، وأن الذي يضلّه الله وليس له هاد يهديه هو من رفض الهدى، ورفض البيّنة والبرهان، ورفض الحق، وأصرّ على الباطل، وهذا بعد عور هذه السنة الربانية، فلا يجوز للضال أن يقول: لو هداني الله لاهتديت، لأنك لا تعلم الغيب الذي هو علم الله، ولأن الله وعد ووعدته الحق أن من مدّ يديه إلى الله لا يردهما الله صرفاً، حتى يضع فيهما خيراً، وأن من تاب تاب الله عليه، وأن من ذكر الله ذكره الله، وأن من سعى إلى الله شبراً سعى نحوه ذراعاً، وأن الذي أعظم من الذنب أن تأس من مغفرة الله للذنب، كل هذا وغيره مفهوم من قوله: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ التي قالها مؤمن آل فرعون^(١).

ولعل في الآية إشارة خفية إلى قول فرعون ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾، وتلميحاً بأن الهدى هدى الله، وأن من أضلّه الله فلا هادي له، والله يعلم من حال الناس وحقيقتهم من يستحق الهدى، ومن يستحق الضلال^(٢).

(١) من حديث يوسف وموسى، ص ٤٨٦.

(٢) في ظلال القرآن، (٥/٣٠٨٠).

وبعد هذا ذُكر مؤمن آل فرعون قومه بموقفهم من يوسف ومن ذريته، كان مثل موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وكيف وقفوا موقف الشك من رسالته، وما جاءهم به من الآيات، فلا يكرروا الموقف من موسى، وهو يصدق ما جاءهم به يوسف، فكانوا منه في شك وارتياب، ويكذب ما جزموا به من أن الله لن يبعث من بعده رسولاً، وها هو ذا موسى يجيء على فترة من يوسف، ويكذب هذا المقال^(١).

٤- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤].

أ- قال ابن جرير الطبري: يقول تعالى ذكره: ولقد جاءكم يوسف بن يعقوب يا قوم من قبل موسى بالواضحات من حجج الله.

- وقوله: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ يقول: فلم تزالوا مرتابين فيما أتاكم به يوسف من عند ربكم، غير موقني القلوب بحقيقته.

- ﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ﴾ يقول: حتى إذا مات يوسف قلمت أيها القوم: لن يبعث الله من بعد يوسف إليكم رسولاً بالدعاء إلى الحق.

- ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ يقول: هكذا بصد الله عن إصابة الحق وقصد السبيل من هو كافر به مرتاب، شاك في حقيقة أخبار رسله^(٢).

(١) في ظلال القرآن، (٥/٣٠٨١).

(٢) تفسير الطبري «جامع البيان في تأويل القرآن»، الطبري، (٦٣/٢٤).

ب- قال السعدي: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ﴾ بن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ إتيان موسى بالبينات الدالة على صدقه، وأمركم بعبادة ربكم وحده لا شريك له.

- ﴿فَمَا زَلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ في حياته.

- ﴿حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ﴾ ازداد شككم وشرككم.

- ﴿فَلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ أي: هذا ظنكم الباطل، وحسبانكم الذي لا يليق بالله تعالى، فإنه تعالى لا يترك خلقه سدى، لا يأمرهم، ولا ينهاهم، ويرسل إليهم رسله، والظن أن الله لا يرسل رسولا ظن ضلال، ولهذا قال:

- ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾: وهذا هو وصفهم

الحقيقي الذي وصفوا به موسى ظلماً وعدواناً، فهم المسرفون بتجاوزهم الحق، وعدولهم عنه إلى الضلال، وهم الكذبة، حيث نسبوا ذلك إلى الله، وكذبوا رسوله، فالذي وصفه بالسرف والكذب، لا ينفك عنهما، لا يهديه الله، ولا يوفقه للخير؛ لأنه رد الحق بعد أن وصل إليه، وعرفه، فجزأه أن يعاقبه الله بأن يمنع الهدى، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ آرَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَنَقَلِبْ أَعْيُنَهُمْ وَابْصُرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَدَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

(١) تفسير السعدي، (٤/١٥٤٩).

٥- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

لما ذكر سبحانه وتعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ ذكر وصف المسرف المرتاب فقال:

أ- ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ التي بينت الحق من الباطل وصارت من ظهورها بمنزلة الشمس للبصر، فهم يجادلون فيها على وضوحها، ليدفعوها ويطلوها.

ب- ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ أي: بغير حجة وبرهان، وهذا وصف لازم لكل من جادل في آيات الله، فإنه من المحال أن يجادل بسطان؛ لأن الحق لا يعارضه معارض، فلا يمكن أن يعارض بدليل شرعي أو عقلي أصلاً.

ج- ﴿كَبْرَ﴾: ذلك القول المتضمن لردّ الحق بالباطل.

د- ﴿مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: فالله أشد بغضاً لصاحبه لأنه تضمن التكذيب بالحق، والتصديق بالباطل، ونسبته إليه، وهذه أمور يشتمد بغض الله لها، ولمن اتصف بها، وكذلك عباده المؤمنون يمتقونه على ذلك أشد المقت موافقة لربهم، وهؤلاء خواص خلق الله تعالى، فمقتهم دليل على شناعة من مقتوه.

هـ- ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما طبع على قلوب آل فرعون.

و- ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾: متكبر في نفسه على الحق برده، وعلى الخلق باحتقارهم، جبار بكثرة ظلمه وعدوانه^(١).

وقال الدكتور محمد أبو موسى في قوله: ﴿بِعَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾: السلطان معناه الحججة والبرهان، وليس هناك جدال في آيات الله بسلطان، لأن آيات الله حجة وبرهان وسلطان فوق كل حجة، فوق كل برهان، وفوق كل سلطان، ووجه ذكر هذا القيد هو إعظام وإكرام وتنويه بالبرهان والحجة^(٢)، والحجة والبرهان أصل الحق والعدل على هذه الأرض، والقرآن الكريم يعول كثيراً عليها، وأن الأصل في صلاح وإصلاح حياة أي شعب هو الانقياد، والتسليم للحجة والبينة.

والحامي للحجة والبرهان في الشعوب هو القضاء العادل الذي ليس عليه سلطان إلا سلطان الحججة والبرهان، فإذا تخلى القضاء عن ذلك لم يعد قضاء، وتحولت حياة الشعوب إلى جحيم وغابة، يأكل كبارها صغارها، والأنظمة الراشدة لا تحرص على شيء كحرصها على نزاهة القضاء فيها، وتعدده من أكبر مفاخرها، وإذا رأيت القضاء في أي بلد تحت الطلب، فاعلم أنه تسلل إلى سدة

(١) تفسير السعدي، (٤/١٥٥٠).

(٢) من حديث يوسف وموسى، ص ٤٨٩.

الحكم من ليسوا من أهلها، وأسند الأمر إلى غير أهله، وسيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لنا: "إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ"، وليس الواجب أن تكون الساعة التي هي القيامة، وإنما يمكن أن تكون ساعة الشعب الذي أسند فيه الأمر إلى غير أهله، وأنه في طريقه إلى الفناء، وإن بقي حياً يأكل ويشرب^(١).

- وفي قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وفاعل كَبُرَ ضمير يعود على الجدل المفهوم من يجادلون.

- و﴿مَقْتًا﴾ تمييز، والمقت أشد الغضب، والتعبير بالاسم الموصول يشير إلى أن هناك ناساً معروفين بالجدال في آيات الله، وهم في زمن فرعون، وفي زماننا، وفي كل زمان، والجدال في آيات الله يورث مقت الله، وهو أشد الغضب، وكلمة ﴿كَبُرَ﴾ تعني أنه ليس مقتاً فحسب، وإنما هو مما يقال فيه ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾.

- وعطف ﴿وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ على ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أولاً فيه تكريم للذين آمنوا، ثم فيه أن الذي يغضب الله أشد الغضب، يغضب الذين آمنوا أشد الغضب، وأنا نكره من يكرههم الله، ونعادي من يعاديهم، ونحب من أحبهم الله، وإذا كان الحب في الله هو أصدق الحب؛ فإن الكره في الله هو أصدق الكره، وأنا مع الله، نحب من أحب، ونكره من يكره، ولاحظ أن هذا كلام ابن عم فرعون،

(١) المصدر نفسه، ص ٤٩٠.

وكان فرعون من أشد المجادلين في آيات الله، وأن هذا المؤمن يخاطب قومه بهذا الخطاب البين الواضح، والرجل اتسع فقهه، واتسع علمه^(١)، واستوعب دعوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وطريق الأنبياء والمرسلين، وآمن بالله رباً، وبموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ نبياً ورسولاً، وقال الدكتور محمد أبو موسى في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾:

كلمة ﴿كَذَلِكَ﴾ تكثر في كلام الله أكثر من كثرتها في أي كلام آخر، لأنه تشبيه، وقياس القياس له شأن في دين الله، والكاف أداة تشبيه كما قلت، وكما هو معروف، والمهم تحديد المشار إليه، وهو هنا الجدل في آيات الله، وما يفضي إليه من كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا بطبع الله، والقلب الذي يطبع الله عليه لا يصل إليه حق، مثل القلب الذي يختم الله عليه، وإنما يطبع ربنا ويختم على قلوب الذين كفروا، الذين يستوي عندهم الإنذار وعدمه، والنصح وعدمه، وهذا معناه أن الجدل في آيات الله من الطبع على القلوب التي لا ينفذ إليها حق.

- وقوله: ﴿عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾: الكليّة في الآية داخله على القلوب، التي هي موضع الطبع، وأن هذه القلوب التي هي موضع الطبع مضافة إلى متكبر موصوف بأنه جبار، وهذا يعني

(١) من حديث يوسف وموسى في الذكر الحكيم، ص ٤٨٩.

أنك لا تجد متكبراً جباراً إلا وقد طبع على قلبه، وأن الفهم والإدراك الصحيح لا يصل إلى قلب متكبر، وقد فُسر المتكبر هنا بأنه المتكبر على الحق، والجبار بالجبار في العصيان، وهذا هو النموذج المجادل في آيات الله، ولا شك في أن الذين يقولون إن سماع سليمان لكلام النملة من الأساطير هم من الذين يجادلون في آيات الله، وهم من الذين طبع الله على قلوبهم، وإن كانوا يوصفون بأنهم مثقفون جداً، ومتنوّرون ونخبة^(١).



(١) من حديث يوسف وموسى، ص ٤٩١.



المبحث الثالث





المبحث الثالث:

مخادعة فرعون قومه وإشغالهم عن دعوة الرجل المؤمن

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا ۖ وَكَذَلِكَ نَزَّلْنَا لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ ۖ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧].

بعد وصف فرعون بأنه متكبر جبار، أخبر الله تعالى عن عتوه وتمرده وافتراءه في تكذيب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حتى بلغ به الأمر أن أمر وزيره ببناء قصر عال منيف شاهق من الأجر، ليصعد به إلى السماء للاطلاع إلى إله موسى؛ قاصداً بذلك التحدي والتمويه والاستهزاء بموسى وإنكار رسالته^(١)، توجه فرعون إلى وزيره هامان وطلب منه بناء صرح له ليبحث عن إله موسى في السماء.

١- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾﴾ [غافر: ٣٦].

أ- ﴿يَهْمَنُ﴾: وزير فرعون، وهي شخصية متصلة باسم فرعون، ومقربة منه، وهو الذي أسند إليه فرعون بناء الصرح.

(١) التفسير المنير، (١٢٢/٢٤).

ب- ﴿أَبِنِ لِي صَرْحًا﴾: قال الإمام الراغب عن الصرح: بيت عال مزوّق، سمي بذلك لكونه صرحاً خالصاً^(١)، أي أن أساس معنى "الصرح" في اللغة هو الخالص الصافي الخالي من الشوائب والأشياء الغريبة، وسمي البناء العالي صرحاً لأنه قوي متماسك متين، وهذا دليل على خلوصه من الشوائب، فلو كان مخلوطاً بها لما كان ثابتاً، وقد فصلت سورة القصص مادة بناء الصرح ﴿فَأَوْقَدَ لِي يَهْمَنْ عَلَى الظُّلَيْنِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا﴾ [القصص: ٣٨]، لقد كان الصرح مصنوعاً من "اللبن"، أو الطوب، وهو المصنوع من الطين، وبعدما يجفّ الطين وييسس يحرق بالنار ليزداد متانة وتماسكاً^(٢).

ج- ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾: قال الإمام الراغب في معنى الأسباب: السبب: الحبل الذي يصعد به النخل، وجمعه أسباب، وسُمي كل ما يتوصل به إلى شيء سبباً، وعلى هذا قوله: ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ ﴿٣٦﴾ أي: لعلني أعرف الذرائع والأسباب الحادثة في السماء، فأتوصل إلى معرفة ما يدعيه موسى^(٣)، لماذا تظاهر فرعون بالموضوعية والبحث؟ لأنه هزم أمام منطق الرجل المؤمن الحكيم، ما هو هدف فرعون من بناء الصرح؟

- يريد أن يصرف المدعويين عن القضية الأساسية التي دعا إليها الرجل المؤمن، كادوا أن يقتنعوا، وذلك ليشغلهم بأمر ثانوي خارج عما هم بصدده ويجري الحديث.

(١) المفردات، ص ٤٨٢.

(٢) القصص القرآني، (٢/٤٩٩).

(٣) المصدر نفسه، (٢/٤٩٩)، المفردات، ص ٣٩١.

- يدل على أنه بلغ الغاية في الطغيان والفجور والاستخفاف بالعقول، ويدل على شدة خداعة، إذ هو يريد أن يتوصل من وراء هذا القول إلى أنه ليس هناك إله سواه، ولو كان هناك إله سواه لشاهده هو وغيره من الناس^(١)، وهو بهذا يظهر لرعيته تكذيب موسى فيما قاله من أن هناك إلهاً غير فرعون^(٢).

- يريد أن يجنح بفكر المدعويين، فيفكروا في الصرح، وكيف سيكون شكله وعرضه وطوله؟ ومن هم بناؤوه؟ فهو يطلب بنائه عالياً، وبالأجر، وهذا التوصيف يجعل السامعين يتصورون الصرح تصوراً تخيلاً، مما يجنح بخيالهم عن آيات الله، وعن الآخرة وغيرها من الأمور؛ مما كان الرجل المؤمن قد وصل إلى بنائها في أذهانهم.

- يريد أن تفقد حجة الرجل المؤمن عند المدعويين قوتها وحيويتها، فهم الآن يفكرون بها لأنها حية في أذهانهم، لها دوافعها الإصلاحية التوعوية، أما إذا انشغلوا عنها ببناء الصرح فستفقد تلك الحيوية لتتحول إلى قضية نظرية جامدة باردة.

- يريد أن ينسيهم الدعوة والتفكير فيها باستخدام عامل الزمن، وبناء الصرح يتناسب مع هذه الحيلة، ففيه تأخير وتسويق وتطويل

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٧ - ١٩٩٨ م، (١٢/٢٩٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم، (٦/٢٣٨).

وانشغال، بل إن التطويل والتأخير مقصود من البناء، بدليل أن الكلمات التي عرضت الأمر تساعد على تطويل المشهد، ﴿فَأَوْقَدُ لِي يَهْمَمُنْ عَلَى الظِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرَخًا﴾ التطويل في تحوّل التراب إلى طين ثم الإيقاد على الطين بإشعال النار تحته، ثم الانتظار حتى يتم حرق الطين ليصير آجرًا، ثم استخدامه في بناء الصرح، وبعد الانتهاء من عملية البناء المطولة يصعد فرعون بتمهل وبطء، وهناك يبلغ أسباب السماوات وطرقها، ويبحث فيها بحثًا متأنياً عن إله موسى، ثم يعود إلى الجماهير تنتظر نتيجة هذه الرحلة الفرعونية، وسيمر عليهم الزمن الطويل وهم ينتظرون، بحيث ينسون حجج الرجل المؤمن التي سمعوها، وتأثروا بها^(١).

- يريد أن يرهق الأمة مؤمنهم وكافرهم اقتصادياً بتحمل أعباء هذا البناء العظيم، قصداً في صرف الجميع عن دعوة الرجل المؤمن، واشتغالهم بجمع ما يفرضه عليهم من إتاوات وضرائب - إن صح التعبير - ويتحمل ما ينجم عنه من إهدار للمال العام على الناس من فقر وشظف عيش، كما هي عادة محاربي الدعوات اليوم، وصانعي الأزمات، وعندما تتصور ما سينفق في بناء الصرح من أموال، وما يبذل له من طاقات وقدرات، وما يضيع فيه من أوقات، وهذه هي أهداف بنائه، نقف على صورة من استخفاف الطغاة بعقول الجماهير، وانشغالهم بالتوافه لتنسى الحقائق، وتضيعهم

(١) مؤمن آل فرعون، بشير الخياط، ص ٢٢٨.

الأوقات والجهود والطاقات فيما لا يقدم للناس خيراً ولا نفعاً، فكم وكم ينفقون من هذه الضروريات في مسرحيات هازلة عابثة، وكم يذهب من هذه المقومات إرضاءً لشهوات الطغاة^(١).

٢- قوله تعالى: ﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى اللَّهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٧].

أ- ﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ﴾: أبواب السماوات وقيل طرق السماوات.

ب- ﴿فَأَطَّلَعَ إِلَى اللَّهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾: وهذا من كفره وتمرده، أنه كذب موسى في أن الله عَزَّوَجَلَّ أرسله إليه.

ج- ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾: أي بصنيعه هذا الذي أراد أن يوهم به الرعية، أنه يعمل شيئاً يتوصل به إلى تكذيب موسى^(٢)، فزَيَّنَ له العمل السيء، فلم يزل الشيطان يزَيِّنه، وهو يدعو إليه ويحسنه، حتى رآه حسناً، ودعا إليه، وناظر فيه مناظرة المحققين، وهو من أعظم المفسدين ﴿وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ الحق، بسبب الباطل الذي زَيَّنَ له.

(١) المصدر نفسه، ص ٢٢٩.

(٢) تفسير ابن كثير، (١٣٤/٧).

د- ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾:

- ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾: الذي أراد أن يكيد به الحق، ويوهم به الناس أنه محق، وأن موسى مبطل.

- ﴿إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ أي: خسار وبوار، لا يفيد إلا الشقاء في الدنيا والآخرة^(١).

وتذكرنا مسرحية فرعون بما فعله رائد الفضاء الروسي السابق "غاغارين" حيث زيّف وحرف وكذب وافتري على البحث والعلم، فهو ماركسي ملحد، ينكر وجود الله، ولكنه لما صعد إلى السماء في سفينة الفضاء، أعجب بجمال الكون وتناسقه، فاستيقظت فطرته لحظة، ونطق عبارة إيمانية لا إرادية، وهو مبهور بإبداع الكون، فقال: لا بد أن يكون لهذا الكون إله، وهذه العبارة إلغاء للماركسية من الجذور، ولهذا ما أن هبط "غاغارين" إلى الأرض حتى اتصل به سادته مهتدين متوعدين، وطلبوا منه تعديل تصريحه السابق، فرضخ لهم، وأخبر الصحفيين قائلاً: لقد صعدت إلى السماء، وذهبت أبحث عن الله، لكن لم أجده، وكان فرعون يريد أن يخرج بهذه النتيجة، يريد أن يقول للناس: لقد بنيت الصرح، وصعدت إلى السماء، وبحثت فيها عن أدلة تشهد لموسى، وتثبت وجود الله، وتمنيت أن أجدها، ولكنني ما وجدت منها شيئاً، وما وجدت الله في السماء، ولذلك ليس لكم إله غيري، وموسى كاذب في دعوته.

(١) تفسير السعدي، (٤/١٥٥٠).

إذن لم يكن فرعون جاداً في البحث، ولا في بناء الصرح؛ ولكنه هازل عابث ساخر، وكم سينفق وزيره هامان من أموال على بناء الصرح، وكم سيرصد له من ميزانية الأمة، وكم سيوظف له من طاقات وقدرات الأمة، وهذا هو هدف فرعون المسرحي منه، وإن الطغاة الظالمين يقتدون بفرعون في هذه الملهاة المسرحية، حيث يقررون إنشاء مشاريع عديدة، ويرصدون لها الأموال الكثيرة، وينفقون فيها الطاقات والأوقات والجهود، وهدفهم هو إلهاء وإشغال الناس، وصرفهم عن الأمور الجدية النافعة^(١).

وتدل لهجة فرعون على تراجعها أمام منطق الرجل المؤمن، وبدا تراجعها في المطالب التالية:

- قال في السابق: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾، والآن يتراجع عن هذا الطلب، ويأمر ببناء الصرح بحجة البحث عن إله موسى.

- في السابق طلب من قومه الإذن له بقتل موسى، والآن يطلب من قومه الانتظار بحيادية، ليطلعهم على نتيجة بحثه في السماء.

- في السابق جزم بأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ساحر كذاب، والآن تراجع عن الجزم، وعبر بالظن فقال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾.

ويسجل تراجع فرعون لصالح الرجل المؤمن، ويدل على نجاحه في عرض حجته، وخطاب قومه بحكمة وموضوعية، والآن

(١) القصص القرآني، (٢/٥٠٢).

رأى الرجل المؤمن أن الوقت قد حان للجهر بإيمانه، ودعوة قومه إلى اتباعه بصراحة مجردة، وليس بتلميح إشاري، فقد أوصل قومه الذين يخاطبهم منذ مدة إلى هذه النتيجة، وقد دفع فرعون إلى التراجع العلني عن ما أراده، ثم هو يخشى أن ينشغل القوم ببناء الصرح، وينسوا دعوته وحجته وبيانه، ولهذا يريد أن يسارع بتقديم الخلاصة لهم، فبدأ بمصارحتهم بدعوتهم إلى اتباعه، وقدم لهم خلاصة دينه، وقارن لهم بين دعوته ودعوة فرعون، وتجريده لفرعون من النفع والضرر، وإقامة الحجة على قومه، وإعلانه تفويضه أمره إلى الله، ودلالته على ذلك^(١).



(١) القصص القرآني، (٢/٥٠٤-٥٠٨).

المبحث الرابع





المبحث الرابع:

الدعوة التفصيلية لمؤمن آل فرعون



قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ
الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ
دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا
مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا
بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ * وَيَقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾
تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ
إِلَى الْعَرِيزِ الْعَقْرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا
وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾
فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ
بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ
﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ
فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿[غافر: ٣٨-٤٦].﴾

هذا بقية كلام مؤمن آل فرعون، فإنه أعاد عليهم النصيح مرة
أخرى، حينما رأهم يتمادون في كفرهم وبعيهم، ونادى قومه
ثلاث مرات. في المرة الأولى، دعاهم في الآيات السابقة إلى
قبول الدين الذي دعا إليه موسى على سبيل الإجمال، وفي المرتين

الأخيرتين على سبيل التفضيل، فدعاهم إلى الإيمان بالله سبحانه طريق الرشاد، ثم حذّره من الاغترار بالدنيا، وحثّهم على العمل للأخرة لدوامها، وقارن بين دعوته إياهم إلى الإيمان بالله تعالى طريق النجاة، وبين دعوتهم إلى عبادة الأصنام طريق النار، ثم أخبر سبحانه عن وقايته وعصمته من السوء الذي دبّره له، وإغراق آل فرعون، وإدخالهم في جهنم يوم القيامة^(١).

١ - قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٣٨].

فقد سبق فرعون أن قال لقومه: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، وهنا يقول الرجل المؤمن للقوم أنفسهم: ﴿يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾، وهذه المواجهة الصريحة منه لفرعون دليل على جرأته وشجاعته وحرصه على دعوته وتوكله على ربه لأنه لا يقف أمام فرعون هذه الموقف؛ ولا يتحداه هذا التحدي، إلا رجل عظيم الإيمان، كامل الاعتماد على الله، وعندما دعا القوم لاتباعه عرض الدعوة بلهجته المعهودة القائمة على الإشفاق والتحبب ﴿يَقَوْمِ﴾.

وفرق كبير بين قول فرعون لقومه: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ﴾، وبين قول الرجل المؤمن لقومه: ﴿يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ

(١) التفسير المنير، (١٢٨/٢٤).

الرَّشَادِ ﴿١﴾، والرجل صادق في قوله لقومه: ﴿اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢﴾، بينما كان فرعون كاذباً في قوله: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا آرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣﴾. (١).

لقد افتتح الرجل المؤمن دعوته لقومه يلفت نظرهم إلى حقيقة تتعلق به شخصياً وهي أنه على حق، ويقف مع الحق، ويدعو للحق، وبالتالي فالانقياد له يعني المضي قدماً إلى طريق مستقيم، بعيداً عن مواطن الزلل والسقوط، وسعى الرجل المؤمن بهذا التركيز الشديد على قناعته الشخصية إلى استرعاء انتباههم؛ لعله يأتيهم بما تتوق إليه نفوسهم، كيف لا وكل منهم يرغب في اتباع الحق؟ ويتجنب قدر المستطاع طريق الغي والضلال، وفي الوقت الذي لاحظ فيه بوادر إقبال عليه؛ وإصغاء إلى ما عنده؛ أكمل حديثه (٢)، وشرع في بيان دينه إلى قومه، فبعد الإجمال انتقل إلى التفصيل في:

- ذم الدنيا وتصغير حالها.

- تعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها.

- الموازنة بين دعوة موسى عَلَيْهِ السَّلَام ودعوة فرعون (٣)، وإليك

تفصيل المجمعل:

(١) القصص القرآني، (٢/٥٠٣).

(٢) مؤمن آل فرعون؛ حفيد المرأة الكاملة وابن الرجل الصالح، شفيح الماحي أحمد أحم، بيروت، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص ١١٩.

(٣) مؤمن آل فرعون، شفيح الماحي أحمد، المرجع السابق، ص ٢٤٣.

٢- قوله تعالى: ﴿يَنْقُورُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ
الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

وكلما بدأ بقوله: يا قوم! بدأ معنى جديداً، وله عنده أهمية،
لأنه يلفت نظر قومه إليه، ويقترب منهم ليقربوا من النصح الذي
يسديه لهم، ولاحظ جملة: ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ﴾،
وكيف بدأت بكلمة ﴿إِنَّمَا﴾ التي تدل على أن ما دخلت عليه مما
لا يجهله جاهل، ولا ينكره منكر، كأن هذا معنى شائع في الناس،
المؤمن والكافر، لأن الكل يرى الكل وهو يموت، ويترك ما يترك
من ثراء ونعمة، ولم يعد يتمتع بها، ثم إن اسم الإشارة هنا مهم جداً،
لأنه يحدد ما يريد أن يحكم عليه بأنه متاع، ويميّزه أكمل تمييز، لأن
الحكم عليها بأنها متاع يوجب أن تكون حاضرة حضوراً كأن العين
تراها، لقوة تشبث الناس بها، مع العلم بأنها متاع، وهذا البناء يخالف
بناء الجملة الثانية التي ليست معلومة علم الجملة الأولى، وهي:

- ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾: ليس كل أحد يعلم
ذلك، بل إن هذا مما نجد أكثر الناس لا يؤمنون به، وإن آمن به
المصريون زمن الفراعنة، وأعدوا قبورهم إعداداً خاصاً لحياتهم
الثانية، والمهم أن الرجل المؤمن أكدها بأن ثم بالضمير ﴿هِيَ﴾،
ثم جعلها داراً، أي موضع إقامة دائمة، ما دمت حيّاً، كدارك في

الدنيا، وأنت هناك لا تموت، فهي دار الأبد، ثم أضافها إلى القرار والمستقر الذي لا يتبدل، ولا يتغير، وهذا تدقيق عجيب^(١).

أ- قال ابن كثير: ثم زهدهم في الدنيا التي قد آثروها على الآخر، وصدتهم عن التصديق برسول الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: ﴿يَتَقَوَّمُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتْعٌ﴾، أي: قليلة زائلة فانية عن قريب، تذهب وتزول وتضمحل، ﴿وَإِنَّ الْأَخْرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ أي: الدار التي لا زوال لها، ولا انتقال منها، ولا مصير إلى غيرها، بل إمان نعيم وإمان جحيم^(٢).

ب- قال السعدي: ﴿يَتَقَوَّمُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتْعٌ﴾ يُتَمَتَّعُ بِهَا، وَيُتَنَعَمُ قَلِيلًا، ثُمَّ تَنْقُطُ وَتُضْمَحَلُّ، فَلَا تَغْرُنْكُمْ وَتُخَدِّعْكُمْ عَمَّا خَلَقْتُمْ لَهُ، ﴿وَإِنَّ الْأَخْرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ التي محل الإقامة، ومنزل السكون والاستقرار، فينبغي لكم أن تؤثروها، وتعملوا لها عملاً يسعدكم فيها^(٣).

٣- قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

(١) من حديث يوسف وموسى، ص ٤٩٧.

(٢) تفسير ابن كثير، (٧/ ١٣٤).

(٣) تفسير السعدي، (٤/ ١٥٥٠).

أ- راجع النفي والاستثناء ودلالته القاطعة على أنه من عمل سيئة لا يزيد عقابه، ولا ينقص عن عمل السيئة، ووصف العقاب بأنه مثلها، يعني مماثلاً ومساوياً لها، ولا يجوز أن يزيد حبة خردل عن هذا المثل، والمحذور أن تزيد في عقاب المذنب؛ وليس من المحذور أن تنقص، لأن الخطأ في العفو أفضل من الخطأ في العقوبة، وتأمل كيف يرسم لنا ربنا طريق الحياة الأفضل، ثم إن العقوبة تكون على من عمل هو سيئة، وليس على من عمل غيره، فلا يعاقب من كان عضواً في جماعة، ولو كان عضواً في عصابة، وإنما على القضاء أن يحدد ما عمله، ولا يعاقب إلا على عمله؛ لأن الله قال لنا: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

- ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩].

- ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٨].

فالمسؤولية فردية، ولا يؤخذ أحد بذنب أحد، وهذا كله دلالة لكلمة ﴿مَنْ عَمِلَ﴾، فلا بد أن يكون عمل، ولا يعاقب على نيته، ثم يعاقب الذي عمل، وليس ولده، ولا أخاه، وأن هذا هو نظام خلافة الإنسان لله في الأرض، ثم راجع مرة ثانية كلمة ﴿عَمِلَ﴾ وأنها تنفي نفيًا قاطعًا تليق التهمة لمن نرفضه، مهما كان بيننا وبينه من خصومة، وبعد هذا التحديد القاطع في كلام هذا المؤمن الذي يصدق قومه النصح قابل هذا بقوله:

ب- ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾:

راجع وتأمل لتقف على شرف الكلام، واعلم أن من وقوفك على شرفه؛ أن تدرك خفايا معانيه:

الأول: واو العطف التي تعطف عملاً صالحاً على عمل سيء، وتجمع لك صورتين متقابلتين من أعمال البشر على هذه الأرض، هناك قال: "من عمل سيئة" بالتنكير، أي سيئة، قلت أو كثرت، وهنا قال من عمل صالحاً، أي صالحاً قل أو كثر، وضع بإزاء هذا التنكير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، وإنما قدم المؤمن عمل السيئة لأنه رأى قومه مغموسين في السيئة، فأراد أن يخلعهم منها، وقدم ربنا مثقال ذرة خيراً لأن الخير يقدم لشرفه، ثم قال من ذكر أو أنثى إشارة بالمساواة في الثواب والعقاب بين الذكر الأنثى، ودفع الجميع لعمل الصالحات.

وسكت عن النساء في عمل السيئة إكراماً لهن، لأن السيئة من النساء أسوأ، والكذب منهن أخطر، ثم ذكر الأصل الذي لا يعتد بالعمل الصالح إلا به؛ وهو الإيمان^(١).

(١) من حديث يوسف وموسى، المرجع السابق، ص ٤٩٩.

- ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: جملة حالية اسمية وبالواو، وكل ذلك يدل على أنه - وهو يزاول العمل الصالح - زاوله وهو في حال الإيمان، والتقرب إلى الله، وتخيل معي أن كل الشعب يزاول الأعمال التي تصلح بها البلاد، وهو يتقرب إلى الله بهذه المزاوله، وحيثئذ تكون قوة هذه الجماعة في الحق، وليست في الباطل، ولن تكون طامعة في خيرات الشعوب، ولن تحوِّك المؤامرات والصراعات، وإنما تكون سالمة مسالمة، سالحة مصلحة، فيزداد بها الثراء والخير والبر والمرحمة بين العباد؛ المسلم وغير المسلم، هؤلاء الذين يزاولون العمل الصالح بهذه الروح التي تستحضر الذي بيده الأمر، جوابهم وجزاؤهم أنهم يدخلون الجنة، وهذه هي غاية الغايات، هي دار القرار^(١).

ج- ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: وبني يرزقون للمجهول، وأشار إلى أن الخير والرزق والعطاء يأتيهم من هنا ومن هنا، ثم ناهيك عن عطاء بغير حساب، من أكرم، من أعطى، جل وتقدس، وراجع دلالة اسم الإشارة الذي للبعيد:

- في قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: ودلالته على بعد محلهم، وبعد ربتهم، ثم تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي، ودلالة ذلك على التوكيد ثم مجيء المضارع الذي يستحضر الصورة من الغيب البعيد.

(١) من حديث يوسف وموسى، المرجع السابق، ص ٤٩٩.

- في قوله: ﴿يَدْخُلُونَ﴾: وكأنك تراهم في عزهم وعليائهم وكرامتهم وهم يدخلون، ثم مجيء المضارع مرة ثانية:

د- قوله: ﴿يُرْزُقُونَ﴾: وهو رأس الجملة الحالية، وكيف كان الدخول مقترناً بحال الرزق بغير حساب، والأصل أن يكون الرزق بعد الدخول، وإنما هي المبادرة بتكريم الواحد الأحد لكرام عباده الذين فعلوا الصالحات، وهم مؤمنون، وراجع مرة ثانية كلمة "من الصالحات"، واحذر أن تخصّها بالصلاة والزكاة والذكر، لأن الله أطلقها وهي كل ما تصلح به حياة الناس؛ سواء في مصانعهم أو مدارسهم أو إعداد قوتهم، أو ما يحتاجون إليه من أي علم في الطب أو الهندسة أو الرياضة، أو ما شئت، لأن القاعدة الفقهية هي أن كل علم تحتاجه الأمة فهو من علوم الإسلام، وأن الطبيب الذي له فقه في طبّه أفضل من الفقيه الذي ليس له فقه في فقهه^(١).

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

- ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً﴾: من شرك أو فسوق أو عصيان.

- ﴿فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾: أي لا يجازى إلا بما يسوؤه ويحزنه بقدر إساءته، وما تستحقه، لأن جزاء السيئة السوء.

- ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى﴾: من أعمال القلوب والجوارح وأقوال اللسان.

(١) من حديث يوسف وموسى، المرجع نفسه، ص ٥٠٠.

- ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، أي: يعطون أجرهم بلا حد، ولا عدّ، بل يعطيهم الله ما لا تبلغه أعمالهم^(١).

٤- قوله تعالى: ﴿وَيَقْوَرُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾^(٢) تَدْعُونَنِي لِأَكْفَرُ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ، مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَقْبَرِ ﴿[غافر: ٤١، ٤٢].

يقارن الرجل المؤمن بين الدعوتين بنفس اللهجة المحببة:

أ- ﴿وَيَقْوَرُ﴾: ويبين لهما أنهما دعوتان اثنتان، لا ثالث لهما، فإما دعوة إلى الإيمان والخير، وهي دعوته الموجهة لهم، وإما دعوة إلى الكفر والشر، وهي دعوة فرعون الموجهة لهم.

ب- ﴿مَا لِي﴾: يستفهم عن شيء من نفسه: كيف أدعوكم إلى النجاة وأنتم تدعونني إلى النار؟ أي إلى ما يؤدي إلى النار، قالوا: لأن الخير لا يكون خيراً إلا إذا أحببته لسواك، لذلك قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"^(٣).

ج- ﴿أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾: ويقارن بين حبه لهم؛ وحبه لنجاتهم وحبه لأن يعيشوا في جنة؛ وهم يدعونه إلى النار، ثم استأنف بيان هذه الجملة الموجزة العالية، وابتدأ هذا البيان

(١) تفسير السعدي، (٤/١٥٥٠).

(٢) تفسير الشعراوي، (٢١/١٣٣٨٦).

بكلمة ﴿تَدْعُونِي﴾ التي حملت المقارنة المحزنة والمؤسفة بينه وبين قومه.

د- ﴿تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَقْبَرِ﴾:

وراجع أنه قال أولاً: أدعوكم إلى النجاة، وتدعونني إلى النار، فقدّم دعوته لهم إلى النجاة "الجنة"، وأخر دعوتهم له إلى النار، وفي الجملة الثانية عكس، وكأنه لما قال الجملة الأولى علا وغلا، وفي قلبه الإحساس بإساءة قومه له، فقدّم دعوته له إلى النار، وأنهم دعوه ليكفر بالله، ولم يُدعِ المؤمن الصادق دعوة أسوأ من هذه الدعوة، لأن إيمانه بالله ليس هو نفسه، وقلبه وعقله، ولحمه، ودمه، وإنما هو فوق ذلك كله: أن يكون الله ورسوله أحب إليك من نفسك.

- ﴿وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾: كان يمكن أن يكتفي بهاتين الجملتين أكفر وأشرك، وكلمة ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ كلمة مفهومة؛ لأنه ليس هناك مؤمن بالله وله علم بشريك، لأنه لا شريك له، ونفي العلم بالشريك نفي لوجوده، قلت كان يمكن أن يكتفي ببعض ذلك، لأن بعضه دال على بعضه، ولكن الرجل الصادق كأنه يُفرغ من قومه الذين يجبههم مرارة حارقة في قلبه، ثم استأنف استئنافاً آخر وأعاد كلمة:

- ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَقْبَرِ﴾: وجعل دعوته هي فاصلة الآية ليبقى رنينها في القلوب، وقد ابتدأ الجملة بقوله: ﴿وَأَنَا﴾،

وكانه يقول وأنا الذي تدعونه ليكفر بالله ويشرك به ما ليس له به علم، ويدعوكم إلى العزيز الغفار، وأحب اقتران الاسمين الجليلين في الفاصلة، لأن لها دلالة جليلة، فالعزيز الغالب الذي لا يُغلب، والذي يستحيل أن يكون له شريك، والغالب المستعلي على من يكفر به؛ فضلاً عن استعلائه على من يكون داعياً للكفر؛ فضلاً عن يدعو إلى الكفر من يدعو إلى الإيمان^(١).

تجد كلمة العزيز يستخرج منها موقعها هنا إشارات ودلالات لا تشبع منها قلوب أهل الإيمان والبيان^(٢)، ثم تجد الغفار يفتح الأبواب على مصارعها لمن يريد أن يتوب ويؤوب إلى الغفار، بصيغة المبالغة والتعريف بالألف واللام^(٣)، لقد رغبتهم مؤمن آل فرعون في الإيمان بالله عَزَّجَلَّ، وبين لهم بأنه عزيز غفار، يقبل توبتهم إليه وإقبالهم عليه^(٤).

لقد لخص مؤمن آل فرعون دعوته الحكيمة في قوله: ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾؛ إنه دعاهم إلى إله واحد، تشهد آثاره في الوجود بوحدانيته، وتنطق بدائع صنعته بقدرته وتقديره، دعاهم ليغفر لهم، وهو القادر على أن يغفر لهم، وقرر من غير شك ولا

(١) من حديث يوسف وموسى، ص ٥٠٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٠٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٠٥.

(٤) القصص القرآني، (٥٠٦/٢).

ريبة أن هؤلاء الشركاء ليس لهم من الأمر شيء، وليس لهم شأن في دنيا ولا في آخرة، وأن المردّد لله وحده، وأن المسرفين المتجاوزين للحد في الادعاء سيكونون أهل النار^(١).

٥- قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنْتُمْ تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر: ٤٣].

وبعدما قارن المؤمن بين دعوته ودعوة فرعون، خطأ خطوة أخرى في التصدي لفرعون ودعوة القوم إلى عدم الخوف منه.

أ- فقال لهم ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقاً وصدقاً^(٢)، ويقيناً^(٣)، ولا شك ولا محالة^(٤).

ب- ﴿أَنْتُمْ تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾: أي لا يستحق من الدعوة إليه، والحث على اللجوء إليه في الدنيا ولا في الآخرة، لعجزه ونقصه، وأنه لا يملك نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً^(٥).

يقول الدكتور الخالدي في تفسيره للآية: إنه يعني فرعون نفسه؛ لأنهم كانوا يؤلهونه ويعبدونه من دون الله، وكأنهم يدعون ذلك

(١) في ظلال القرآن، (٥/٣٠٨٣).

(٢) القصص القرآني، (٢/٥٠٦).

(٣) تفسير السعدي، (٤/١٥٥١).

(٤) تفسير الشعراوي، (٢١/١٣٣٨٧).

(٥) تفسير السعدي، (٤/١٥٥١).

الرجل المؤمن إلى تأليهه وعبادته ودعائه والتضرع إليه، ويقول لهم: لا شك أن فرعون الذي تعبدونه وتدعونني لعبادته عاجز عن دفع الضر عن نفسه، أو جلب الخير له، فإذا كان عاجزاً في حق نفسه فهو في حق غيره أكثر عجزاً لأنه مخلوق ضعيف، حتى لو كان ملكاً فرعوناً، والضر والنفع إنما هما بيد الله وحده، الخالق القوي القادر الضار النافع.

هذا هو فرعون في نظر الرجل المؤمن، إنه لم يخدع بما أحاط به فرعون نفسه من مظاهر القوة، وهالات العظمة، ولقد نظر إليه بمنظار الإيمان بالله، واليقين بقوة الله، فرآه على حقيقته، ووزنه بميزان الإيمان، فعرف وزنه البشري الحقيقي، وأظهر إيمانه، وانتصر لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان الرجل المؤمن يدعو المؤمنين إلى الاقتداء به في هذا الموقف، وأن ينظروا للطغاة بمنظار الإيمان، ويزنوهم بميزان الإيمان؛ ليعرفوا حجمهم الحقيقي بدون مبالغة أو تهويل، فلا يرهبوه ولا يتركوا الحق بسبب تهديدهم^(١).

ج- ﴿وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾: وهذا المعتقد أي: مرجعنا ومصيرنا ونهاية المطاف إلى الله^(٢)، يُلجم النفس عن الباطل، والكذب والنفاق، وكل ما يورثها الخساسة والنذالة، وتحذوها إلى كل عمل طيب وصالح ونافع ورافع للإنسان، وعليه أن يعقل بأنه مكرم

(١) القصص القرآني، (٢/٥٠٧).

(٢) تفسير الشعراوي، (٢١/١٣٣٨٧).

عند الله ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ ولا يهين نفسه، وأن مرد الإنسان إلى ربه إذا كان أليفاً مألوفاً في القلب هان به كل صعب^(١).

د- ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾: وتفادى أن يجرح خاطر قومه؛ وأن يقول لهم إنهم أصحاب النار، عمم وقال إن المسرفين هم أصحاب النار، والمسرفون هم المبالغون في المعاصي والمآسي والضلال^(٢)، والمسرفون هم: المتجاوزون للحد في الكفر والطغيان، وأشدهم المسرف على نفسه الذي تجاوز الحد الذي ينبغي أن يقف عنده، وهذا الحد إما أن يكون في المأمورات أو في المنهيات^(٣).

وماذا يبقى بعد هذا البيان الواضح الشامل للحقائق الرئيسية في العقيدة؟ وقد جهر بها الرجل في مواجهة فرعون وملئه بلا تردد ولا تلثم، بعدما كان يكتم إيمانه، فأعلن هذا الإعلان، لا يبقى إلا أن يفوض أمره إلى الله، وقد قال كلمته، وأراح ضميره^(٤).

ولا بد أن فرعون قد غضب من كلام الرجل المؤمن، وضاق به ذرعاً، فأصدر أوامره لجنوده لإسكاته، والتخلص منه، وقد أحسّ

(١) من حديث يوسف وموسى، ص ٥٠٦، ٥٠٧.

(٢) من حديث يوسف وموسى، ص ٥٠٧.

(٣) تفسير الشعراوي، (٢١/١٣٣٨٧).

(٤) في ظلال القرآن، (٥/٣٠٨٣).

الرجل بذلك، ورأى أن ثمة تدابير ومكايد تدبر له، فألقى كلمته الأخيرة، فوَّضَ بها أمره إلى الله، واستعاذ بها من مكرهم وكيدهم^(١).

٦- قال تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ [غافر: ٤٤، ٤٥].

أ- ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ﴾: وهذا التذكير يكون في المستقبل في الدنيا والآخرة، فإن استجابوا له وآمنوا، حققوا ثمرة الإيمان في الدنيا وفي الآخرة، وعندها يتذكرون ما قاله لهم، فيشكرونه على دعوته، وإن رفضوا دعوته وأصرّوا على الكفر؛ فسيدفون ثمن ذلك غالياً في الدنيا والآخرة، وعندها يتحسرون ويندمون لرفضهم دعوته، وقوله: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ﴾ ليس تهديداً لهم، وإنما هو نصيحة وتذكير، وهو وسيلة أخرى من وسائل التأثير عليهم، وكأنه يقول لهم: إذا اخترتم طريق الكفر ووقعت بكم عاقبة ذلك، فلا تلوْموني، ولو ما أنفسكم^(٢).

ب- ﴿وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ أي: أرد أمري إليه سبحانه، فهو وليي، فإن كنت قد بليت بأمر نتيجة ما أفضت فيه من شرح منهج الله؛ والدفاع عن نبيه موسى؛ والاستماع

(١) التفسير الموضوعي، (٣١٦/٧).

(٢) القصص القرآني، (٥٠٨/٢).

إلى المنهج الحق؛ والسير عليه؛ فأرجو أن يعطيني من العمل ما ينفعني في الآخرة^(١).

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة دليل واضح على أن التوكل الصادق وتفويض الأمور إليه سبب للحفظ والوقاية من كل سوء، وقد تقرر في الأصول أن الفاء من حروف التعليل، كقولهم: سها فسجد، أي سجد لعلة سهوه، وسرق فقطعت يده، كما قدمنا مراراً، وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون التوكل على الله سبب للحفظ والوقاية من السوء جاء مبيناً في آيات أخر:

- كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

- وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ [٧٣] فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ وَفَضَّلَ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤-١٧٣]^(٢).

- ﴿وَأَفْوُضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾: أي ألجأ إليه، وأعتصم به، وألقي أموري كلها لديه، وأتوكل عليه في مصالحه ودفع الضرر الذي يصيبني منكم، أو من غيركم^(٣).

- ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَعْيُنِنَا﴾: يعلم أحوالهم وما يستحقون، يعلم حالي وضعفي؛ فيمنعني منكم، ويكفيني شركم، ويعلم أحوالكم؛

(١) تفسير الشعراوي، (٢١/١٣٣٨٨).

(٢) أضواء البيان، (٦/٣٨٨).

(٣) تفسير السعدي، (٤/١٥٥١).

فلا تتصرفون إلا بإرادته ومشئته، فإن سلطكم عليّ فبحكمة منه تعالى، وعن إرادته ومشئته صدر ذلك^(١).

- ﴿إِنَّ اللَّهَ بِصِيرُكُمْ بِالْعِبَادِ﴾: إنه تعالى بصير بأحوال عباده، يعلم من يستحق النصره فينصره ويؤيده، ويعلم من يستحق الخذلان فيخذله ويضله^(٢).

ج- ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكْرُوهًا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥].

دلت هذه الآية الكريمة على أن فرعون وقومه أرادوا أن يمكروا بهذا المؤمن الكريم، وأن الله وقاه، أي حفظه، ونجاه من أضرار مكرهم وشدائده بسبب توكله على الله، وتفويضه أمره إليه^(٣).

- وقوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ معناه أنهم لما أرادوا أن يمكروا بهذا المؤمن وقاه الله مكرهم، وردّ العقاب السيئة عليهم، فردّ سوء مكرهم إليهم، فكان المؤمن المذكور ناجياً في الدنيا والآخرة، وكان فرعون وقومه هالكين في الدنيا والآخرة والبرزخ، فقال في هلاكهم في الدنيا ﴿وَأَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ [الأنفال: ٥٤] الآية، وأمثالها من الآيات، وقال في مصيرهم في البرزخ ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، وقال في عذاب الآخرة:

(١) تفسير السعدي، (٤/١٥٥١).

(٢) التفسير الموضوعي، (٧/٣١٦).

(٣) التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن، (٢٩/٣٦٥).

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾، وما دلّت عليه هذه الآية الكريمة من حيق المكر السيء بالماكر أو ضحه تعالى في قوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣] (١).

- قال السعدي: ﴿فَوَقَّهٗ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ أي: وقى الله القوي ذلك الرجل المؤمن الموفق عقوبات ما مكر فرعون وآله له، من أراد إهلاكه وإتلافه، لأنه بدأهم بما يكرهون، وأظهر لهم الموافقة التامة لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ودعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى، وهذا أمر لا يحتملونه، وهم الذين لهم القدرة إذ ذاك، وقد أغضبهم، واشتد حنقهم عليه، فأرادوا به كيداً فحفظه الله من كيدهم ومكرهم، وانقلب كيدهم ومكرهم على أنفسهم، ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ أغرقهم الله تعالى في صيحة واحدة عن آخرهم (٢).

وهذه الآية وقف عندها الإمام جعفر الصادق، واستنبط منها بعض اللطائف والحكم حين قال:

- عجبت لمن خاف ولم يفرع إلى قوله تعالى: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] لأنني سمعت الله يعقبها بقول: ﴿فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

(١) أضواء البيان، (٦/٣٨٨-٣٨٩).

(٢) تفسير السعدي، (٤/١٥٥٧).

- وعجبت لمن مكر له ولم يفرع إلى قوله تعالى: ﴿وَأَوْصُ
أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ [غافر: ٤٤]، فإنني سمعت الله يعقبها بقول: ﴿فَوَقَدَهُ اللَّهُ
سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُؤًا﴾ [غافر: ٤٥].

- وعجبت لمن طلب الدنيا وزينتها ولم يفرع إلى قوله تعالى:
﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]، فإنني سمعت الله يعقبها
بقول: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ﴾ [الكهف: ٤٠].

- وعجبت لمن اغتم - والاعتماد انقباض الصدر وضيق النفس
دون أن تعرف له سبباً - ولم يفرع إلى قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فإنني سمعت الله
يعقبها بقول: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَجَجَّتْهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُصْحِي
الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]^(١)، يعني: ليست خاصة به وحده.

قال محمد متولي الشعراوي: هذه من دقائق كتاب الله ولطائفه،
ومن أخذها ورداً له لا يمر به شيء من هذا، ونجاه الله منه، ووقاه
من الخوف، ومن المكر، ومن الفقر، ومن الغم، ثم إن استجابة
الحق سبحانه لعبده المؤمن لم تقف عند حد الوقاية من عدوه،
إنما تعدت إلى العدو نفسه، حيث انقلب الحال، ودارت الدائرة
عليه، تأمل: ﴿فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكْرُؤًا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ

(١) تفسير الشعراوي، (٢١/١٣٣٩١).

الْعَذَابِ ﴿١﴾، والمراد عذاب الدنيا قبل الآخرة، لأن الإنسان له في حياته ثلاث مراحل:

- الحياة الدنيا التي نعيشها الآن.

- ثم حياة البرزخ بعد أن يموت إلى أن يبعث يوم القيامة.

- ثم حياته بعد البعث^(١).

٧- قوله تعالى: ﴿التَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

أي: يعرضون على النار غدوًّا وعشيًّا في أول النهار وآخره ما دامت الدنيا، فإذا قامت الساعة قيل لخزنة جهنم: أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، وهذه الآية دليل على عذاب القبر كما قال العلماء^(٢).

قال الرازي: احتج بهذه الآية على إثبات عذاب القبر، فالآية تقتضي عرض النار عليهم غدوًّا وعشيًّا، وليس المراد منه يوم القيامة؛ لأنه قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ ﴿١﴾ وليس المراد منه الدنيا، لأن عرض النار عليهم غدوًّا وعشيًّا ما كان حاصلًا في الدنيا، فثبت أن هذا العرض إنما حصل بعد الموت، وقبل يوم القيامة، وذلك يدل على عذاب القبر في حق هؤلاء^(٣).

(١) تفسير الشعراوي، (٢١/١٣٣٩١).

(٢) التفسير الموضوعي، (٧/٣١٧).

(٣) مفاتيح الغيب، (٢٧/٦٤)، بتصرف.

وقد بَوَّبَ الإمام البخاري في صحيحه باب "ما جاء في عذاب القبر"، وذكر هذه الآية، وأورد عدداً من الأحاديث منها:

أ- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْرِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذُكَ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَقَالَ: "نَعَمْ، عَذَابُ الْقَبْرِ" قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدُ صَلَّى صَلَاةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، زاد في رواية: "عَذَابِ الْقَبْرِ حَقًّا" (١).

ب- وعن موسى بن عقبة قال: سمعت أم خالد بنت خالد قالت: سمعتُ النبي يَتَعَوَّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ (٢)، وعن مصعب بن سعد قال: كان سعد يأمر بخمس، ويذكرهن من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يأمر بهن: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمَرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَعَذَابِ الْقَبْرِ" (٣).

ج- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَهْلِ الْقَلِيبِ (٤)، فَقَالَ: "وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟" فَقِيلَ لَهُ: تَدْعُو أَمْوَاتًا؟ فَقَالَ: "مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعِ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ لَا يُجِيبُونَ" (٥).

(١) البخاري، رقم ١٣٧٢.

(٢) البخاري، رقم ١٣٦٤.

(٣) البخاري، رقم ٦٣٦٥.

(٤) القليب: البئر التي لم تطو، يذكر ويؤنث.

(٥) مسلم، (٦٤٣/٢).

قال القسطلاني: هذا يدل على وجود حياة في القبر يصلح معها التعذيب، لأنه لما ثبت سماع أهل القليب كلامه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ وتوبيخه لهم؛ دلّ على إدراكهم الكلام بحاسة السمع، وعلى جواز إدراكهم ألم العذاب ببقية الحواس، بل بالذات^(١).

د- وعن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالت: قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطيباً، فذكر فتنة القبر التي يفتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة^(٢)، قال النووي: فيه إثبات عذاب القبر وفتنته، وهو مذهب أهل الحق^(٣).

ه- وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ -وإنه لَيَسْمَعُ قَرَعَ نِعَالِهِمْ- أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ (أَيِ الْكَامِلِ) فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ انظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبَدَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، قَالَ فَتَادُهُ: وَذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي. كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن أبي بكر شهاب الدين القسطلاني، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، ١٩٩٦م، (٣/٥٢٩).

(٢) البخاري، رقم ٦٣٦٥.

(٣) شرح مسلم، (٦/١٨٢-١٨٣).

النَّاسُ. فَيَقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ. وَيُضْرَبُ بِمِطَارِقٍ مِنْ حَدِيدٍ
ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ، غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ^(١).

- قال ابن القيم: ومما ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب
البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيب منه، قُبر
أو لم يُقبر، ولو أكلته السباع، أو أحرق حتى صار رماداً، ونُسف
في الهواء، أو صُلب، أو غرق في البحر، وصل إلى روحه أنه من
العذاب ما يصل إلى القبور^(٢).

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فليعلم أن مذهب سلف الأمة
وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل
لروحه ولبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة،
وأنها تتصل بالبدن أحياناً فيحصل له معها النعيم والعذاب^(٣).

- وذكر ابن أبي العز الحنفي أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ،
وجميع ما فيه من النعيم والعذاب هو واقع على جميع البشر،
وإن اختلفت كيفية موتهم من القتل والحرق والتمزق وتناثر
الأعضاء، سواء دُفِنوا، أو لم يُدْفِنوا، فهم يعيشون تلك الحياة، إما
منعمين أو معذبين^(٤).

(١) مسند أحمد، (٣/١٢٦)، البخاري، (٣/٢٩٨)، رقم ١٣٧٤.

(٢) الروح، شمس الدين ابن القيم الجوزية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١،
١٩٨٢م، ص ٥٨.

(٣) مجموع الفتاوى، (٤/٢٨٤).

(٤) تنوع خطاب القرآن الكريم في العهد المدني: دراسة لغوية، صالح عبد الله
منصور العولقي، اليمن، عدن، دراسات قرآنية في جامعة عدن، رسالة ماجستير،
٢٠١١م، ص ٣٩٢.

فيقول: واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قُبِرَ أو لم يقبر، أكلته السباع، أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء، أو صُلب، أو أغرق في البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذب ما يصل إلى المقبور^(١).

ويبين أيضاً أن الأرواح والأبدان يصيبها العذاب والنعيم في الدور الثالث كما قال: فالحاصل أن الدور ثلاث: دار الدنيا ودار البرزخ، ودار القرار، وقد جعل الله لكل دار أحكاماً تخصها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبعاً لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبع لها، فإذا جاء يوم حشر الأجساد؛ وقيام الناس من قبورهم؛ صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعاً^(٢).



(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٠م، ص ٣٩١.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٩٢.



الخاتمة





الخاتمة:



تمثل قصة مؤمن آل فرعون نموذجاً عظيماً للرجل المؤمن الداعية إلى الله، الذي ضحى بالجاه والمنصب والأمن والأمان والمال والراحة والرفاهية في سبيل الدفاع عن دعوة الحق التي آمن بها حقاً، وعمل بمقتضاها، وجاهد مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في الدفاع عنها بالحجج والبراهين العقلية المقنعة.

وقد امتحن هذا المؤمن واختبر، فكاد له قومه المكائد في سبيل إسقاطه، والنيل منه، وما يدعو إليه، ولكن الله وقاه شر ذلك كله، كما قال: ﴿فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦]، وقد أقسم الله تعالى أن العقابة والنصر لرسالته، ولأهل دعوته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

وفي الخاتمة، يمكن أن نذكر بعض النتائج التي وصل إليها الكتاب على النحو الآتي:

١- أخبر القرآن عن مؤمن آل فرعون بأنه ﴿رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، والوصف بالرجولة هنا وصف تكريم وتشريف، ويراد بالرجولة المعنى المادي والمعنى النفسي.

٢- عندما اضطر مؤمن آل فرعون للدفاع عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ والوقوف أمام فرعون؛ خطأ خطوات منهجية في غاية الحكمة والترتيب والتخطيط، وقدم "بياناً" دعويًا حكيماً، وتمكّن من إحراج فرعون، وهزيمته، وأقام الحجة عليه وعلى قومه.

٣- سلك الرجل المؤمن مع قومه مسلكاً في منتهى الإنصاف في الجدل والإفحام، وبنى كلامه على مسلمة أن كل إنسان يتحمل تبعه عمله، ويجني عاقبته، وتتأزر اللطائف البيانية فيها لإبراز بلاغة الحجة، ودعم أسلوب الاستدراج، ثم انتقل بعد ذلك إلى التهديد من طرف خفي، وانتقل إلى أمر أعلى منتهزاً سانحة التقسيم والحديث عن موسى؛ ليقول كلاماً يحتمل الوعد والوعيد بطريق الإنصاف، فينطبق على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما ينطبق على قومه.

٤- هناك كثير من أوجه الشبه بين قصة مؤمن آل فرعون وسيدنا أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفضل أبو بكر على مؤمن آل فرعون.

٥- حذر مؤمن آل فرعون قومه من خطورة الظلم المتمثل في إنكار البيّنات، وأن نتيجة الظلم وإنكار البيّنة هو ضياع هذا الملك، لأن الله لا يترك الطاغين، وإنما ينزل بهم بأسه، وإذا نزل بنا بأس الله فلن نجد عليه نصيراً.

٦- بيّن مؤمن آل فرعون لقومه بأن الله أنعم عليكم بهذا الملك، والظهور في أرض مصر بالكلمة النافذة، والجاه العريض، فراعوا هذا النعمة بشكر الله، وتصديق رسوله عَلَيْهِ السَّلَامُ، واحذروا نقمة الله

إن كذبتهم رسوله، وأن هذه الجنود والعساكر لا تغني عنا شيئاً من بأس الله إن أرادنا بسوء.

٧- استخدم مؤمن آل فرعون المنهج العقلي في خطابه لقومه، ووظف المنهج العاطفي في أسلوب مميز تحت جناح عاطفة القرابة الحميمة، حيث جمع فيها مؤثرات نفسية، ومؤثرات قيمية، ومؤثرات حضارية، ومؤثرات عقديّة، وكل هذه المؤثرات تجذب، وتستدر العاطفة؛ لأنها تجمع التقارب بين الداعي والمدعو.

٨- استخدم مؤمن آل فرعون علم التاريخ، ومعرفته بتاريخ النبوات في تحذيره ونصحه لقومه، وبيّن لهم ما حلّ بالأمم التي رفضت البيّنات، وأن الله أغرق قوم نوح، وأهلك عاداً بريح صرصر، وأهلك ثمود بالطاغية، وأن قوم فرعون لهم ثقافة دينية فذكرهم بها، ثم أن العلم بدأب قوم نوح، وعاد وثمود والذين من بعدهم هو الذي يفتح باب قلوبهم للآية الجليلة.

٩- كان مؤمن آل فرعون على درجة من الثقافة الدينية عالية، وعلى استيعاب كبير لأصول دعوة الأنبياء والمرسلين، وإيمان بها حقيقي، وقناعة راسخة بدعوة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة.

١٠- ذكّر مؤمن آل فرعون قومه بموقفهم من يوسف ومن ذريته كان موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وكيف وقفوا موقف الشك من رسالته وما

جاءهم به من الآيات، فلا يكرروا الموقف من موسى وهو يصدق ما جاءهم به يوسف، فكانوا منه في شك وارتياب، ويكذب ما جزموا به من أن الله لن يبعث من بعده رسولاً، وها هو ذا موسى يجيء على فترة من يوسف، ويكذب هذا المقال.

١١- لقد لخص مؤمن آل فرعون دعوته الحكيمة في قوله: ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَقَرِ﴾؛ إنه دعاهم إلى إله واحد، تشهد آثاره في الوجود بوحدانيته، وتنطق بدائع صنعته بقدرته وتقديره.

١٢- لم ينتصح فرعون وقومه لا بموسى؛ ولا بهارون عَلَيْهِمَا السَّلَام؛ ولا بمؤمن آل فرعون، وأصرّوا على التكذيب، واتبعوا أمر فرعون، فكان عاقبة أمرهم كسائر المكذبين، أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وجعلهم عبرة لمن يعتبر. وبعد؛ فهذا ما يسره الله لي من جمع وترتيب وتحليل تضمنتها مباحث هذا الكتيب، فما كان فيه من صواب فهو محض فضل الله عليّ، فله الحمد حتى يرضى، وله الحمد عند الرضى، وله الحمد بعد الرضى، وما كان فيه من خطأ فاستغفر الله تعالى، وأتوب إليه، والله ورسوله بريء منه، وعسى ألا أحرّم من الأجر، وأدعو الله تعالى أن ينفع بهذا الكتيب إخواني المسلمين، وأن يذكرني من يقرأه في دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه في ظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى، وأختتم بقول الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

[الحشر: ١٠].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





المصادر والمراجع

- ١- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن أبي بكر شهاب الدين القسطلاني، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، ١٩٩٦م.
- ٢- الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ابن عبد البر القرطبي المالكي، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الجيل، ط١، ١٩٩٢م.
- ٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت، ١٣٩٣هـ)، جدة، السعودية، مجمع الفقه الإسلامي، دار علم الفوائد، (د. ت).
- ٤- البداية والنهاية، الإمام أبي الفداء ابن كثير، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط وبشار عواد، دمشق، دار ابن كثير، ط٦، ٢٠٢١م.
- ٥- بلاغة الاحتجاج العقلي في القرآن الكريم، زينب بنت عبد اللطيف الكردي، تحقيق: محمد بن علي الصامل، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ٦- التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن، أبي سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، ط١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

- ٧- تصريف القول في القصص القرآني؛ دراسة بلاغية تحليلية
لقصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، محمّد صافي المستغانمي، دار ابن كثير،
بيروت، ط١، ٢٠١٨م.
- ٨- تنوع خطاب القرآن الكريم في العهد المدني: دراسة لغوية،
صالح عبد الله منصور العولقي، اليمن، عدن، دراسات قرآنية في
جامعة عدن، رسالة ماجستير، ٢٠١١م.
- ٩- تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام
المنان)، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، السعودية، الدمام، دار ابن
الجوزي، ط٤، ١٤٣٥هـ.
- ١٠- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، القاهرة،
مكتبة الأسرة، ط١، ١٩٩٢م.
- ١١- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبي الفداء
إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، بيروت، دار ابن
حزم، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٢- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة
مصطفى الزحيلي، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط٢، ١٤١٨هـ -
١٩٩٨م.
- ١٣- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي،
القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٧ -
١٩٩٨م.

- ١٤- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد البكري الصديقي الشافعي (ت: ١٠٥٧هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط ٤، ٢٠٠٤م.
- ١٥- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري (ت: ١٤٢٧هـ)، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٧م.
- ١٦- الروح، شمس الدين ابن القيم الجوزية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٢م.
- ١٧- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٠م.
- ١٨- القصص القرآني أهدافه وخصائصه ومنهج الكتابة فيه، سليمان الدقور، عمان، دار النَّفائس، ٢٠١٨م.
- ١٩- القصص القرآني؛ عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، دمشق، دار القلم، ط ٤، ٢٠١٦م.
- ٢٠- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)، تحقيق: سيد عمران، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٢٠هـ، ودار الكتب العلمية، ٢٠٢٠م.

- ٢١- مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب
أرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ٢٠٠٨ م.
- ٢٢- مؤمن آل فرعون؛ دراسة دعوية تحليلية، بشير علي أحمد
الخياط، رسالة دكتوراه، السودان، كلية الدعوة الإسلامية في جامعة
أم درمان، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م.
- ٢٣- مؤمن آل فرعون؛ حفيد المرأة الكاملة وابن الرجل
الصالح، شفيق الماحي أحمد أحم، بيروت، دار ابن حزم، ط ١،
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- ٢٤- من حديث يوسف وموسى في الذكر الحكيم، محمد
محمد أبو موسى، القاهرة، مكتبة وهبة، ط ١، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١ م.
- ٢٥- في ظلال القرآن، سيد إبراهيم قطب، القاهرة، دار الشروق،
ط ٣٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م.
- ٢٦- نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف الدكتور
مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، كلية
الدراسات، جامعة الشارقة، د. ط، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م.



فهرس الموضوعات

- الإهداء ٥
- مقدمة الكتاب ٧
- ١- التعريف بالكتيب وأصله: ٩
- ٢- تعريف عام بسورة غافر..... ١١

المبحث الأول:

- الآيات الممهدة لذكر قصة مؤمن آل فرعون ١٩

المبحث الثاني:

- ذكر مؤمن آل فرعون وموعظته لقومه ومحاججته لهم بالبراهين
والحجج المنطقية: ٣١
- مقارنة بين مؤمن آل فرعون وأبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ٤١

المبحث الثالث:

- مخادعة فرعون قومه وإشغالهم عن دعوة الرجل المؤمن..... ٦٩

المبحث الرابع:

- الدعوة التفصيلية لمؤمن آل فرعون ٧٩
- الخاتمة: ١٠٧
- المصادر والمراجع ١١٣



السيرة الذاتية للمؤلف

تَأَلَّفُ
د. علي محمد محمد الصلابي



- ولد في مدينة بنغازي بليبيا عام ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.
- نال درجة الإجازة العالمية (الليسانس) من كلية الدعوة وأصول الدين من جامعة المدينة المنورة عام ١٩٩٣ م، وبالترتيب الأول.
- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين في جامعة أم درمان الإسلامية عام ١٩٩٦ م.
- نال درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بأطروحته فقه التمكين في القرآن الكريم من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان عام ١٩٩٩ م.
- اشتهر بمؤلفاته واهتماماته في علوم القرآن الكريم، والفقه، والتاريخ، والفكر الإسلامي.
- زادت مؤلفات الدكتور الصلابي على الثمانين مؤلفاً.



كتب صدرت للمؤلف

١. السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث.
٢. سيرة الخليفة الأول أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.
٣. سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.
٤. سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.
٥. سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.
٦. سيرة أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب: شخصيته وعصره.
٧. الدولة العثمانية: عوامل النهوض والسقوط.
٨. فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم.
٩. تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا.
١٠. تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي.
١١. عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين.

- ١٢ . الوسطية في القرآن الكريم.
- ١٣ . الدولة الأموية، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار.
- ١٤ . معاوية بن أبي سفيان، شخصيته وعصره.
- ١٥ . عمر بن عبد العزيز، شخصيته وعصره.
- ١٦ . خلافة عبد الله بن الزبير.
- ١٧ . عصر الدولة الزنكية.
- ١٨ . عماد الدين زنكي.
- ١٩ . نور الدين زنكي.
- ٢٠ . دولة السلاجقة.
- ٢١ . الإمام الغزالي وجهوده في الإصلاح والتجديد.
- ٢٢ . الشيخ عبد القادر الجيلاني.
- ٢٣ . الشيخ عمر المختار.
- ٢٤ . عبد الملك بن مروان وبنوه.
- ٢٥ . فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة.
- ٢٦ . حقيقة الخلاف بين الصحابة.
- ٢٧ . وسطية القرآن في العقائد.
- ٢٨ . فتنة مقتل عثمان.

٢٩. السلطان عبد الحميد الثاني.
٣٠. دولة المرابطين.
٣١. دولة الموحدين.
٣٢. عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج.
٣٣. الدولة الفاطمية.
٣٤. حركة الفتح الإسلامي في الشمال الأفريقي.
٣٥. صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير البيت المقدس.
٣٦. استراتيجية شاملة لمناصرة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دروس مستفادة من الحروب الصليبية.
٣٧. الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء.
٣٨. الحملات الصليبية (الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة) والأيوبيون بعد صلاح الدين.
٣٩. المشروع المغولي: عوامل الانتشار وتداعيات الانكسار.
٤٠. سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت في عهد المماليك.
٤١. الشورى فريضة إسلامية.
٤٢. الإيمان بالله جَلَّالَهُ.

٤٣. الإيمان باليوم الآخر.
٤٤. الإيمان بالقدر.
٤٥. الإيمان بالرسول والرسالات.
٤٦. الإيمان بالملائكة.
٤٧. الإيمان بالقرآن والكتب السماوية.
٤٨. السلطان محمد الفاتح.
٤٩. المعجزة الخالدة.
٥٠. الدولة الحديثة المسلمة: دعائمها ووظائفها.
٥١. البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة.
٥٢. التداول على السلطة التنفيذية.
٥٣. ٥٤. الحريات من القرآن الكريم: حرية التفكير وحرية التعبير، والاعتقاد والحريات الشخصية.
٥٥. العدالة والمصالحة الوطنية: ضرورة دينية وإنسانية.
٥٦. المواطنة والوطن في الدولة الحديثة.
٥٧. العدالة في التصور الإسلامي.
٥٨. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي.
٥٩. الأمير عبد القادر الجزائري.

٦٠. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، سيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، الجزء الثاني.
٦١. سنة الله في الأخذ بالأسباب.
٦٢. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، وسيرة الإمام محمد البشير الإبراهيمي.
٦٣. أعلام التصوف السني: "ثمانية أجزاء".
٦٤. المشروع الوطني للسلام والمصالحة.
٦٥. الجمهورية الطرابلسية (١٩١٨ - ١٩٢٢) أول جمهورية في تاريخ المسلمين المعاصر.
٦٦. الإباضية: مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج.
٦٧. المسيح عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: الحقيقة الكاملة.
٦٨. قصة بدء الخلق وخلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ
٦٩. نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ والطوفان العظيم.. ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية.
٧٠. إبراهيم خليل الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: "داعية التوحيد ودين الإسلام والأسوة الحسنة".
٧١. موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كلم الله.

٧٢. موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والخضر .
٧٣. موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة طه .
٧٤. موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة القصص .
٧٥. موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة الشعراء .
٧٦. مؤمن آل فرعون في سورة غافر .
٧٧. لا إله إلا الله (أدلة وجود الله وأول المخلوقات) .
٧٨. سقوط الدولة العثمانية (الأسباب - التداعيات) .
٧٩. سقوط الدولة الأموية (الأسباب - التداعيات) .
٨٠. مختصر نشأة الحضارة الإنسانية وقادتها العظام .
٨١. النبي الوزير يوسف الصديق عَلَيْهِ السَّلَامُ من الابتلاء إلى التمكين .
٨٢. ذكريات لا تنسى .
٨٣. الأنبياء الملوك داوود وسليمان (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) وهيكلي سليمان المزعوم .
٨٤. لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ ودعوته في مواجهة الفساد والشذوذ الجنسي وعقاب الله للظالمين .





وقد تميزت قصة موسى ﷺ في سورة غافر بذكر قصة رجل (مؤمن آل فرعون) الذي دافع عن رسول الله ونبيه موسى ﷺ من بطش فرعون وملائه، وقام خطيباً لقومه، محاوراً لهم بحججه العقلية والمنطقية، بعدما كان يكتم إيمانه خوفاً على نفسه من الهلاك.

وقف مؤمن آل فرعون موقفاً شجاعاً أظهر فيه قوة إنتمائه بالأصل لفرعون وآله وعصبته، وأبدى حرصه، وخوفه على مصالح قومه من عواقب تحدي موسى ﷺ، ومجابهته بقوة الدولة المستبدة، والسلطان الفرعوني، وفي الوقت ذاته أبدى اعترافاً بموسى ﷺ، ونبوءته بعدما كان يكتم ذلك حرصاً على نجاح مهمته في الدعوة إلى الله.

بدأ التمهيد في سورة غافر لذكر مؤمن آل فرعون عند ذكر الله سبحانه قصة الإيمان والطغيان ممثلة في دعوة موسى ﷺ لفرعون الطاغية الجبار، ففرعون يريد أن يقضي على موسى وأتباعه خشية أن ينتشر الإيمان بين الأقسام، فتبرز في ثنايا هذه القصة حلقة جديدة لم تعرض في قصة موسى في غيرها من السور (كما ذكرنا) ألا وهي ظهور رجل مؤمن من آل فرعون - يخفي إيمانه - يصدع بكلمة الحق في لطف وحذر، ثم في صراحة ووضوح، وقد ذكر الله سبحانه مشاهد من محاجته لقومه مليئة بالبراهين العقلية والحجج المنطقية، ثم تنتهي القصة بعلاقة فرعون الطاغية الجبار بالغرق في البحر مع أعوانه وأنصاره ونجاة الداعية المؤمن وسائر المؤمنين.



 dr.sallabi

 alsallabi

 alsallabi1

 dr.ali_alsallabi

 alsallabicom

 www.alsallabi.com



asaletyayinlari.com.tr
 asaletyayinlari

